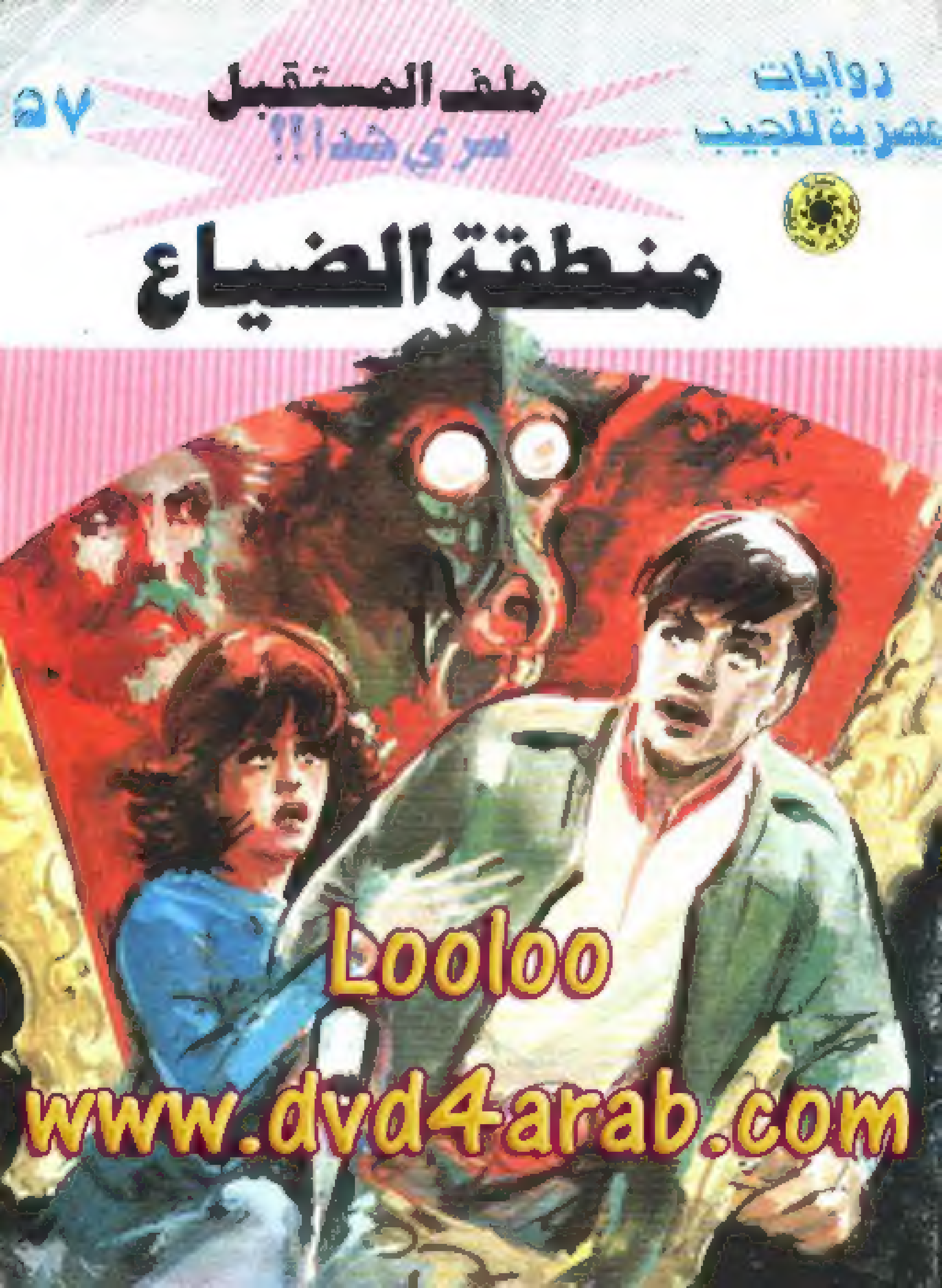

روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جدا!!؟
٥٧
منطقة الضياع
Looloo
www.dvd4arab.com



١ ــ ضياع سفير ..

بدأ ذلك اليوم ، من أيام مارس الدافئة ، فى القرن الحادى والعشرين ، بداية عجيبة ، بالنسبة للمقيمين فى تلك المنطقة ، التى تجاور هذا البناء القديم ، المعروف باسم (برج القاهرة) ، فقد لاحظوا ، وهم يتجهون إلى أعمالهم فى الصباح ، أن أحد القصور القديمة ، المطلة على النيل ، والتى يعود بناؤها إلى نهايات القرن التاسع عشر ، قد أحيط بحراسة خاصة ، ووسائل أمن بالغة الحداثة ، وأن حديقته قد اكتظت بحشد من الرجال ، يراقبون فى حذر كل شاردة وواردة فى المنطقة ، ويرصدون كل التحركات فى اهتمام شديد ، ودقة بالغة ، تشف عن أن ذلك القصر القديم ، الذى تم تجديد مظهره الخارجى منذ عام واحد ، يستعد لاستقبال ضيف بالغ الأهمية ، أو حدث شديد الخطورة ..

ولا ريب أن البعض قد أمكنه تخمين طبيعة ذلك الحدث ، وهوية ذاك الضيف ، فقد كان من المتوقع ، فى الدوائر الديلوماسية ، أن ذلك الصراع السرّى ، بين دائرتى مخابراتنا ، ومخابرات دولة معادية قريبة ، قد أوشك على

الانتهاء ، وأن سفير تلك الدولة سيصل إلى (القاهرة) ، فى موعد ما ، لتوقيع معاهدة سلام ، ونزع للأسلحة النووية ، التى تهدّد بها كل من الدولتين الأخرى ..

وكان العالم كله ينتظر توقيع هذه المعاهدة فى شغف واهتمام ..

ونظرًا لخطورة الأمر ، وأثره على السلام العالمىّ ، فقد حرصت كل من الدولتين على إحاطة موعد ومكان الاجتماع بالسّرّيّة البالغة ، حتى تلك اللحظة ، ففى نفس الوقت ، الذى انتبه فيه سكّان المنطقة إلى ما يحدث ، كان سفير تلك الدولة يتجه بسيارة صاروخية خاصة ، وتحت إجراءات أمن مشدّدة ، إلى ذلك القصر القديم ، الذى وقع عليه الاختيار ، نظرًا لأنه آخر مكان يمكن أن يتوقّعه أحد ، لعقد مثل هذا الاجتماع ..

وفى الثامنة وعشر دقائق صباحًا ، وصلت سيارة السفير الصاروخية إلى القصر ، وأفسح لها رجال الأمن ، الذين يحيطون بالقصر إحاطة السوار بالمعصم ــ الطريق ، بعد أن تأكّدوا من هوية راكبها بوسائلهم الإلكترونية الحديثة ، وتركوها تجتاز حديقة القصر ، حتى وقفت أمام بابه ، حيث هبط منها السفير ، بصحبة حارسين خاصّين ، سارا إلى يمينه ويساره ، وهما يديران بصرهما حولهما فى حذر وتحفّز ، حتى

أوصلاه إلى حجرة مكتب صاحب القصر القديم ، ففحصاها بأجهزتهما الإلكترونية فى اهتمام بالغ ، حتى أيقنا من خلوّها من أية أجهزة تصنّت ، أو مراقبة ، ثم تركا السفير وحده داخلها ، وخرجا ليحتلّا مكانهما أمام بابها ..

وفى الثامنة والنصف تمامًا ، وصل وزير الخارجية المصرى إلى مكان الاجتماع ، واتبع معه رجال الأمن الاحتياطات نفسها ، فتأكّدوا من شخصيته ، وأفسحوا له الطريق ، فانطلقت سيارته عبر حديقة القصر بدوْرها ، حتى توقّفت إلى جوار سيارة السفير ، وهبط منها وزير الخارجية ، بصحبة حارس واحد ، أوصله حتى باب حجرة المكتب ، واتخذ مكانه إلى جوار حارسى السفير ، وترك الوزير يدلف وحده إلى الحجرة ..

ودفع وزير الخارجية المصرى باب الحجرة ، وخطا إليها فى عجلة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم لم يلبث أن شعر بالدهشة ، وهو يبحث بعينيه عن السفير ، دون أن يجد له أثرًا ، فعاد يغادر الحجرة ، ويسأل أحد حارسى السفير فى حيرة :

ــ أين السفير ؟

حدّق حارسا السفير فى وجهه فى ذهول ، ثم صاح أحدهما فى توتّر :

— إنه بالداخل .

قلب الوزير كفيه فى حيرة ، وهو يغمغم :

— كلا .. لا يوجد أدنى أثر له ..

شهق حارسا السفير فى استنكار ودهشة ، وأزاح أحدهما وزير الخارجية المصرى فى خشونة ، وهما يندفعان إلى الحجرة ، وقد استل كل منهما مسدسه الليزرى ، ولكنهما لم يكادا يلجانها ، حتى تسمرا فى ذهول ، فباستثناء المكتبة الضخمة ، التى تغطى حائط الحجرة الأيسر ، وتنحنى تملأ الحائط الشمالى ، والمائدة ذات المقعدين ، التى تتوسط الحجرة ، والمرآة الأثرية الكبيرة ، التى تحتل منتصف الحائط الأيمن ، كانت الحجرة خالية تماما ..

وكان السفير قد اختفى ..

* * *

ألصق الرائد (نور الدين) كفيه ، على شاشة كمبيوتر الأمن ، أمام حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وانتظر لحظات حتى ومضت الشاشة ببريق فيروزى هادئ ، ثم رفع كفيه ، ووقف أمام باب حجرة القائد الأعلى فى ثبات ، حتى انفرج مصراعا الباب فى بطء وهدوء ، لتتكشف أمامه حجرة القائد الواسعة الأنيقة ..

وفى خطوات سريعة منتظمة ، عبر (نور) حجرة القائد الأعلى ، وتوقف أمام مكتب هذا الأخير ، ورفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، فغمغم القائد الأعلى ، وهو يرد تحيته :

— أهلا بك يا (نور) .. أتمنى أن تكون مستعدا لتلك المهمة العسيرة ، التى سألقيها على كاهل فريقك .

أجابه (نور) فى صوت قوى النبرات :

— الفريق بأكمله مستعد دوما يا سيدى .

تنهد القائد الأعلى ، قبل أن يقول فى ضيق واضح :

— أتمنى ذلك يا (نور) ، فالمهمة الملقاة على عاتقكم هذه المرة بالغة الخطورة ، ففشلها قد يتسبب فى احتدام أزمة دبلوماسية ، بدأت صباح اليوم بالفعل .

وشرح له كل ما حدث فى القصر القديم بكل التفاصيل الوارد ذكرها ، ثم انتهى إلى قوله :

— ولقد ثار حارسا السفير ثورة عارمة ، واتهما رجالنا باختطاف السفير ، وأصرا على استدعاء خبراء من دولتهم ، لفحص الحجرة ، والتأكد من صحة قولنا بعدم وجود أية مداخل ، أو مخارج سرية لها ، يمكن بواسطتها اختطاف الرجل .

عقد (نور) حاجبيه فى تفكير عميق ، وهو يقول :

ـــ إننى موقن من أننا لم نختطف هذا السفير عمدًا يا سيّدى ؛ فهذا لا يتفق مع محاولاتنا الطويلة ؛ لعقد هذه الهُدنة ، ولكن الأمر يثير الحَيْرة بالفعل ، فلو لم تكن هناك أيّة مخارج سرّيّة ، فأين ذهب الرجل ؟ وكيف اختفى ؟

زفر القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـــ إنك تلقى سؤالًا يكاد البحث عن جوابه يقتلنا يا (نور) ، فالحجرة التى اختفى فيها السفير لا تحوى مكانًا واحدًا ، يُمكن إخفاؤه فيه ، فهى حجرة فسيحة ، تكاد تكون عارية تقريبًا ، فيما عدا مكتبة ضخمة ، يبلغ سمكها ثلاثين سنتيمترًا ، ومرآة أثرية ، تتوسّط منتصف حائط كامل ، ومائدة ذات مقعدين ، والحجرة ذات مدخل واحد ، وهو بابها ، أما نافذتها ، فقد تم إغلاقها منذ مائة عام تقريبًا ، عندما صنع صاحب القصر القديم هذه المكتبة الضخمة ، محتلًّا الحائط ، الذى كانت تتوسّطه النافذة ، وباب هذه الحجرة يطلّ على ممر واسع ، كان يقف فيه حارسا السفير ، وخمسة من رجال أمننا ، أكّدوا أن الحارسين لم يبارحا مكانيهما ، منذ دخل السفير إلى الحجرة ، وحتى اختفى ، وعلى جانبى الحجرة

حجرتان ، يفصل كل منهما عن الحجرة حائط بسمك خمسة وعشرين سنتيمترًا ، ولقد كان رجال الأمن التابعون لنا يحتلّون الحجرتين ، أى أن الحجرة ، التى اختفى فيها السفير ، كانت محاطة برجال الأمن من جوانبها الأربعة ، وهذا يؤكّد أنه لم يغادرها بأى حال من الأحوال

سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ وماذا عن سقف الحجرة وأرضيتها يا سيّدى ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه ، وقال فى حَيْرة :

ـــ لقد كان مركز المراقبة الرئيسى لرجال الأمن ، داخل الحجرة التى تعلو حجرة الاجتماع ، أما عن أرضيتها ، فلا يوجد بها أى مدخل ، لأيّة أنفاق ، كما لا يوجد أسفلها أى شىء على الإطلاق ، سوى خمسة أطنان من الأسمنت المسلّح .

وزفر فى قوة ، قبل أن يستطرد :

ـــ باختصار ، لا توجد ثغرة واحدة ، يُمكن أن تعبر خلالها باعوضة ، دون أن يلمحها رجال الأمن يا (نور) .

غمغم (نور) فى حَيْرة :

ـــ أين اختفى السفير إذن ؟

ران الصمت لحظة ، ثم قال القائد الأعلى :

— لقد وصل خبراء تلك الدولة منذ نصف ساعة يا (نور) ، للبحث عن جواب لهذا السؤال ، وينبغى أن تعلم أن فشلهم فى العثور على هذا الجواب ، قد يعنى اتجاههم إلى الجواب الأكثر سهولة ، ألا وهو أننا قد اختطفناه ، أو قتلناه ، وسيعنى هذا بالتبعية انفجار الأزمة الديبلوماسية ، مما قد يؤدى إلى نشوب حرب فظيعة بين الدولتين .

غمغم (نور) فى توتر :

— ولكنّ هذا قد يعنى .

أكمل القائد الأعلى فى مرارة :

— قد يعنى فناء الدولتين يا (نور) .. نعم .. كلنا نعلم ذلك .

توترت عضلات وجه (نور) ، وشعر بامتعاض شديد فى أعماقه ؛ فهو يكره الحديث عن الدمار والحروب كراهية عنيفة ، ولقد تضاعف توتر عضلاته ، حينما وضع القائد الأعلى يده على كتفه ، وقال فى صوت يحمل كل ما يعتمل فى أعماقه من مشاعر :

— الأمل معقود على فريقك يا (نور) .

اعتدل (نور) فى وقفة عسكرية صارمة ، وأجاب فى حزم وقوة :

— سنجد الحل يا سيّدى .. سنجده بإذن الله ..

* * *



٢ — البحث عن لغز ..

بدت الروح العدوانية واضحة منذ اللحظة الأولى ، حينما التقى (نور) وفريقه بخبراء تلك الدولة ..

كانوا ثلاثة رجال ، انهمكوا فى فحص الحجرة بأجهزتهم ، ولقد توقف ثلاثتهم عن العمل ، فور ولوج (نور) و (سلوى) إلى الحجرة ، وانعقدت حواجبهم فى استنكار ، حينما دلف خلفهما (رمزى) ، وتبادلوا نظرة صارمة مع بعضهم البعض ، عند وصول (محمود) ، ثم قال أحدهم ، وهو ضخم الجثة ، أشيب الشعر ، كث الشارب :

— من أنتم ؟.. وماذا تفعلون هنا ؟

أجابه (نور) فى صوت هادئ ، بذل جهدًا ليصبغه بروح المودّة :

— أنا الرائد (نور) ، من المخابرات العلمية المصرية ، وهؤلاء هم أفراد فريقى و .....

لم يمهله الرجل ليتم عبارته ، وإنما قاطعه فى مزيج من الصرامة والاستنكار :

— المخابرات العلمية ؟!.. وما شأن المخابرات العلمية

باختطاف سفيرنا ؟.. إنها جريمة سياسية ، ونحن وحدنا سنثبت تورّطكم فيها .

كانت لهجته جافة سخيفة ، حتى أن (سلوى) اندفعت تقول فى حنق :

— ألا تتفق معى على أن اتهامك هذا سابق لأوانه ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى رجل آخر ، طويل القامة ، نحيل ، يرتدى منظارًا طبيًا سميكًا ، وهو يقول :

— حذار من التحدث مع زميلى (چاكوب) بهذا الأسلوب يا سيدتى ، فهو رجل شديد العصبيّة ، ويفتقر إلى الكياسة فى التعامل مع النساء .

رمقه (چاكوب) بنظرة صارمة ، وهو يقول فى حدّة :

— ليس هذا من شأنك يا (إيزاك) .

هزّ (إيزاك) كتفيه ، وعاد ينهمك فى فحص أجهزته ، فى حين التفتت (سلوى) إلى (چاكوب) ، وقالت فى عناد :

— العالم الحق لا يصدر أحكامه ، قبل أن ينتهى من دراساته يا سيد (چاكوب) .

عقد (چاكوب) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى صرامة :

— هكذا ؟!

ثم التفت إلى الرجل الثالث ، الذى يبدو ضئيل الحجم ، رث الهيئة على نحو بالغ ، مستطردًا فى حِدّة :

— أخبرها إلى أين قادتنا أبحاثنا ودراساتنا يا (دافيد) .

تنحنح (دافيد) ، وكأنما يهمّ بإلقاء محاضرة طويلة ، ثم لم يزد على قوله :

— لا شىء .

سأله (رمزى) فى دهشة :

— ماذا تعنى بـ (لا شىء) ؟!.. أية أبحاث أو دراسات تقود إلى شىء ما بالتأكيد !

تنحنح (دافيد) مرة أخرى ، ثم قال فى هدوء :

— أعنى أن نتائج أبحاثنا جاءت كلها سلبية ، وتؤكد أنه لا يوجد منفذ واحد ، يمكن لسفيرنا مغادرة الحجرة بواسطته .

ثم استدرك فى لهجة تنطوى على الاتهام :

— دون علمكم بالطبع .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وهو يسأله فى برود :

— وكيف يمكنه الخروج بعلمنا ؟

سأله (جاكوب) فى حدّة :

— ماذا تعنى ؟!

أجابه بنفس البرود ، وإن أضاف إليه رنّة ساخرة :

— إننى أعنى — فى بساطة — أن هذا التأكيد ينطبق على اختطافنا لسفيركم — بحسب زعمكم — فأنا أتساءل عن الكيفية التى أخرجناه بها من حجرة ، لا تحوى أية منافذ سوى بابها ، الذى ظلّ حارسا سفيركما يقفان لحراسته ، منذ دخول السفير إلى الحجرة ، وحتى اختفائه .

تبادل الخبراء الثلاثة نظرة حائرة ، قبل أن يقول (جاكوب) فى حدّة :

— أية لخدعة تسعى إليها ؟

لوّح (نور) بكفه فى الهواء ، وهو يقول فى هدوء :

— إنك تديننا باتهام خطير يا سيّد (جاكوب) ، ومن حقّى أن أسألك عن أدلّة هذا الاتهام .

هتف (إيزاك) فى حدّة :

— أين ذهب سفيرنا إذن ؟

أجابه (محمود) فى حِدّة مماثلة:

— هذا ما ينبغى أن نتعاون للبحث عنه .

لوّح (جاكوب) بذراعه كلها فى الهواء ، وهو يقول فى حدّة :

ـ لقد حاولنا نحن وفشلنا ، ها هو ذا دوركم .. استخدموا كل أجهزتكم ، ووسائلكم التكنولوجية ، ولكن أعيدوا لنا سفيرنا .

غمغمت (سلوى) فى صرامة :

ـ سنفعل بإذن الله .

صاح بها (جاكوب) فى حنق :

ـ هيّا .. دعينا نرى مهارتكم أيها المصريون .

سأله (نور) فى هدوء ، وهو يدير عينيه فى الحجرة :

ـ ما وسائل البحث التى استخدمتموها ؟

أشاح (جاكوب) بوجهه ، دون أن يجيب ، فى حين أجاب (إيزاك) :

ـ كل ما يمكن أن يخطر ببالك أيها الرائد .. لقد فحصنا الجدران بأجهزة التردّد ، وبالأشعة دون الحمراء ، وفوق البنفسجية ، وحتى بالأشعة الكونية ، وتأكّدنا من أن كل الجدران ، والسقف ، والأرضية مصمطة تمامًا ، ولا تحوى منفذًا واحدًا ، باستثناء الباب .

بدت لهجة (نور) غامضة ، وهو يسأله :

ـ وهل بدا لكم كل شىء طبيعيًا ؟

أجابه (إيزاك) فى تأكيد :

ـ تمامًا .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. إننى أرى نقطة غير طبيعية هنا .

تطلّع إليه الخبراء الثلاثة ، ورفاقه أيضًا فى حيْرة ، وسأله (جاكوب) فى عصبية :

ـ أية نقطة أيها العبقرى ؟

أشار (نور) إلى المرآة ، وهو يقول :

ـ هذه .

أدار الجميع عيونهم إلى المرآة ، وتطلعوا إليه فى مزيج من الدهشة والحيرة ، فغمغم (دافيد) :

ـ ماذا بها ؟!.. صحيح أنها مرآة أثرية ضخمة ، ذات إطار ثمين ، ولكننى أراها مجرّد مرآة عادية ، بالنسبة لأثاث هذا القصر العتيق .

عاد (نور) يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى لهجة غامضة :

ـ هذا ما يبدو ، ولكن ألم يسأل أحدكم نفسه عن ذلك السر العجيب ، الذى حدا بصاحب هذا القصر ، إلى أن



وأشار إلى المرآة مرة أخرى ، مستطردًا فى حزم :
ـ سر هذه المرآة ..

يستغل حائطًا كاملًا ، ليضع فيه مرآة ، فى حين أنه قد اضطر إلى سد نافذة الحجرة الوحيدة ، ليصنع مكتبته الضخمة هذه ؟

تبادلوا نظرات الدهشة والحيرة مرة أخرى ، ثم قال (إيزاك) :

ـ هذا شأنه .

ارتسمت على شفتى (نور) أشد الابتسامات غموضًا ، وهو يقول :

ـ على العكس أيها السادة .. لو أردتم رأيى ، فأنا موقن من أن حل هذا اللغز كله يكمن فى حل ذلك السرّ .

وأشار إلى المرآة مرة أخرى ، مستطردًا فى حزم :

ـ سر هذه المرآة .

* * *

مرّت لحظات من الصمت ، والجميع ينقلون أبصارهم بين (نور) والمرآة ، ثم غمغم (چاكوب) فى سخط :

ـ يا للسخافة !

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ لا تنظر إلى الأمور تلك النظرة السطحيّة يا سيّد (چاكوب) ، حاول أن ....

قاطعه (چاكوب) فى حدة

ـــ أحاول ماذا ؟!

ثم استطرد ، وهو يلوّح بذراعه فى حنق

ـــ إنك تحاول إهمال الحدث الأصلى ، والدخول فى متاهات جانبية سخيفة ، لتورثنا الحيرة والارتباك و ...

قاطعه (رمزى) فى هدوء

ـــ خطأ يا سيد (چاكوب) ، إننى أميل إلى تصديق رواية (نور) ، فلقد درست تاريخ هذا القصر القديم جيدًا ، قبل أن نأتى إلى هنا .

هتف (إيزاك) فى غضب :

ـــ أهى محاولة خداع أخرى ؟

هز (رمزى) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـــ مطلقًا يا سيد (إيزاك) .

وازداد صوته عمقًا ، وهو يردف :

ـــ فتاريخ هذا القصر يؤكد وجود سابقة لما حدث ... بل سابقتين .

سأله (دافيد) فى حيرة :

ـــ سابقتان لماذا ؟

بدا صوت (رمزى) شديد الثقة والحزم ، وهو يجيب

ـــ سابقتا اختفاء غامض أيها السادة ، فى هذا القصر ، وفى هذه الحجرة بالذات ... إننا نقف جميعًا فى حجرة أطلق عليها آخر مالك للقصر اسمًا مخيفًا

وملأ صوته حواسهم ، وهو يستطرد فى بطء

ـــ اسم (منطقة الضياع)

* * *



٣ — منطقة الضياع ..

حدق الجميع في وجه (رمزي) في دهشة ، بعد أن ألقى عبارته الأخيرة ، التي فجرت في أجسادهم — بلا استثناء — رجفة قوية ، قبل أن يهتف (نور) :

— من أين أتيت بهذه المعلومات يا (رمزي) ؟ ولماذا لم تخبرني بها من قبل ؟

هز (رمزي) كتفيه ، وقال :

— إنها مدونة في معظم مراجع دراسات الظواهر فوق الطبيعية ، أو الغامضة يا (نور) ، ولقد تصورت أنك تعرفها ، ما دام حادث الاختفاء يتعلق بهذا القصر بالذات

قالت (سلوى) في لهفة :

— أخبرنا ما الذي تعرفه عن منطقة الضياع هذه يا (رمزي) .. هيا .

ابتسم (رمزي) ابتسامة باهتة ، وتنحنح في خفوت ، قبل أن يقول :

— يرجع زمن أول هذه الحوادث الغامضة إلى عام ألف وتسعمائة وثمانية ، بعد اكتمال بناء هذا القصر بعشر سنوات ،

لقد كان يمتلكه واحد من أبناء الطبقة الثرية — في ذلك العصر — يدعى (عبد الجواد) باشا ، ولقد كان هذا الرجل من كبار مثقفي عصره ، وهو صاحب الكم الأكبر من هذه المخطوطات والكتب النادرة ، التي تزخر بها هذه المكتبة ، ويقال إنه كان غريب الأطوار ، يميل إلى العزلة والسكون ، حتى أنه أغلق نافذة حجرة مكتبه ، المطلة على النيل ، حينما صنع هذه المكتبة الضخمة ، ولقد اعتاد قضاء معظم أمسياته داخل هذه الحجرة ، حتى كانت أمسية من أمسيات شهر (مارس) ، شبيهة بتلك الليلة ، دخل فيها (عبد الجواد) باشا إلى حجرة مكتبه ، وأصدر أوامر مشددة بألا يزعجه أحد ، وجلس خادمه الخاص أمام الحجرة ، ينتظر ما قد يأمره به سيده . وقبيل منتصف الليل بنحو نصف ساعة ، تناهى إلى سمع الخادم صوت شهقة ترتفع من داخل الحجرة ، فأصابه الانزعاج ، وخشي أن يكون سيده قد أصيب بأزمة صحية ، أو شيء من هذا القبيل ، فراح يدق باب المكتب ، وهو ينادي سيده ، فلما لم يتلق جوابًا ، خاطر باقتحام الحجرة ، ولكنه أصيب بالذهول ، إذ وجد الحجرة خالية تمامًا ، دون أدنى أثر لسيده

سرت قشعريرة باردة فى أجساد الجميع ، فيما توقف (رمزى) لحظة ، ليجول ببصره فى وجوههم ، التى ارتسم التوتر عليها واضحا ، ثم أردف فى هدوء :

— ولقد بذلت — آنذاك — محاولات مضنية للبحث عن (عبد الجواد) باشا ، دون أن تسفر عن أدنى نتيجة ، حتى أن زوجته اتهمت خادمه بقتله ، والتخلص من جثته ، وألقى القبض على الخادم المسكين بالطبع ، ولكن أحدا لم يمكنه إثبات هذا الاتهام ، فأفرج عن الخادم ، وتم اعتبار (عبد الجواد) باشا مفقودا ، وآل القصر بالوراثة إلى ابنه (أحمد) ، الذى ورث عن أبيه أيضا حبه للاطلاع والقراءة ، ولكنه لم يكن يقضى أمسياته داخل تلك الحجرة كوالده ، وإنما كان يميل إلى القراءة فى بهو القصر ، فى وجود أمه ، وزوجته وأولاده فيما بعد ... حتى بلغ الخامسة والخمسين من العمر

صمت (رمزى) ليزدرد لعابه ، فهتفت به (سلوى) ، وقد بلغ فضولها ذروته :

— هيه يا (رمزى) ، أخبرنا ماذا حدث حينذاك

ابتسم (رمزى) ابتسامة متوترة ، وتابع قائلا

— كانت ليلة من ليالى شهر (مارس) أيضا ، بعد خمسين عاما

من اختفاء (عبد الجواد) باشا ، حينما قال ابنه (أحمد) لزوجته ، إنه سيقضى سهرته فى حجرة المكتب ، ليقرأ مذكرات والده ، التى عثر عليها فى ركن قصى من المكتبة ، ولقد قضى ليلته هناك بالفعل ، ولكنه لم يعد إلى حجرة نومه أبدا ، فلقد ظل باب حجرة مكتبه مغلقا من الداخل ، حتى الصباح التالى ، ولقد أدهش ذلك زوجته ؛ لأنه لم يعتد قضاء ليلة كاملة فى حجرة المكتب أبدا ، فذهبت تدق باب المكتب ، وتسأله عن سر ذلك ، ولكنها لم تتلق جوابا ، فأصابها الفزع ، واستعانت بخدم القصر لفتح الباب ، وهنا واجهتهم مفاجأة مذهلة ، فقد كانت الحجرة — فى هذه المرة أيضا — خالية تماما ، وقد اختفى كل أثر فيها له (أحمد)

هتفت (سلوى) فى امتقاع :

— يا إلهى !!

وغمغم (محمود) فى توتر :

— ولقد كان ذلك منذ خمسين عاما !

أومأ (رمزى) برأسه إيجابا ، وقال :

— نعم ، ومنذ ذلك الحين تشاءم أصحاب القصر من حجرة المكتب ، وأطلق عليها (مؤنس) ، الابن الأكبر

لـ (أحمد عبد الجواد) ، اسم (مصطفى الضباع) ، بعد أن صار داخلها جده وأبوه ، ومع قيام الثورة

قاطعه (جاكوب) في حدة :

ـــ هل تتصور أننا سنصدق خزعبلاتك هذه ؟

هزّ (رمزي) كتفيه ، وهو يقول :

ـــ إنها ليست خزعبلاتي أنا .. إنها مدوّنة في كل الـ

عاد (جاكوب) يقاطعه في حنق :

ـــ إنني أصدقك ، فلا أحد يمكنه العبث بمراجع تاريخية ، ولكنني أثق بأنكم قد استغللتم هذا في اختطاف سميرنا ، وأنتم مطمئنون إلى وجود تفسير سخيف ، يمكنكم التشبث به ، في محاولة لإثبات براءتكم .

هتف (محمود) في غضب :

ـــ ولماذا نفعل بالله عليك ؟ .. إننا نسعى لعقد هذا السلام منذ سنوات ، وليس من المنطقي أن نحطّم هذا السعي في لحظة واحدة ، بحادث اختطاف أحرق ، لن يؤدي إلا لمزيد من التعقيد .

صاح (جاكوب) في ثورة :

ـــ لست أدري لماذا فعلتم ذلك ، ولكنني واثق من أنكم قد فعلتموه .

واستدرك في عصبية :

ـــ ويمكنني أن أثبت ذلك .

سأله (نور) في ضيق :

ـــ وكيف يمكنك أن تثبت ذلك ؟

أجابه (جاكوب) في صرامة ، وهو يشير إلى صدره :

ـــ سأبقى وحدي في الحجرة ، وسترون أنني لن أختفي

تطلّع إليه الجميع في دهشة ، وغمغم (نور) :

ـــ حذار يا سيد (جاكوب) ، إنك تخاطر بـ .

قاطعه في صرامة :

ـــ إنني أصرّ .

تنهّد (نور) وقال :

ـــ وكم تنوي أن تبقى ؟

قال في تحدّ :

ـــ نصف ساعة كاملة .. أيكفيك هذا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في حدّة :

ـــ نعم .

ثم أشار إلى رفاقه ، وهو يغادر الحجرة ، قائلا :

ـــ هيّا يا رفاق .

لحق به الجميع خارج الحجرة ، فيما عدا (داڤيد) ، الذى اقترب من (جاكوب) ، وقال فى قلق :

ـــ هل تظن أنك ......؟

قاطعه (جاكوب) قبل أن يتمّ عبارته :

ـــ نعم

تنهّد (داڤيد) ، وغادر الحجرة فى خطوات متردّدة ، وألقى نظرة قلقة أخيرة على (جاكوب) ، قبل أن يغلق الباب خلفه ، فابتسم (جاكوب) ابتسامة عصبية ، وهو يغمغم :

ـــ حوادث اختفاء غامضة ، ومنطقة ضياع !! يا للسخافة !

ودار ببصره يتطلّع حوله فى هدوء ، وافترّ ثغره عن ابتسامة شرسة ، وهو يتطلع إلى صورته المنعكسة على المرآة الأثرية ، وعاد يغمغم فى سخرية :

ـــ يا لسخافة هؤلاء المصريين !!

وأطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، وهو يقترب من المرآة ، وتطلّع إلى وجهه فيها فى لا مبالاة ، وهو يفتل شاربه الكث فى حركة آلية ..

وفجأة امتدّ عنقه إلى الأمام ، وجحظت عيناه عن آخرهما ،



وفجأة امتدّ عنقه إلى الأمام ، وجحظت عيناه عن آخرهما ،
وهو يحدّق فى المرآة فى ذهول ..

وهو يحدّق فى المرآة فى ذهول ، ثم استدار خلفه فى حركة حادّة ، ملؤها الذعر ، وفتح فمه ؛ ليصرخ بعبارة ما .

ولكنه لم يفعل .

لم يفعل أبدًا ..

* * *

تطلّع (محمود) إلى ساعته ، وهو يغمغم فى قلق .

ـــ بقيت خمس دقائق فقط .

لم ينبس أى من الآخرين ببنت شفة ، وهم يتطلّعون إليه فى قلق مماثل ، ثم غمغمت (سلوى) فى صوت شديد الخفوت :

ـــ هل تظنون أننا سنجده ؟

تطلّع إليها (دافيد) بنظرة قلقة متردّدة ، فى حين هتف (إيزاك) فى صرامة :

ـــ بالطبع .. هل تظنون أننا سنصدّق هذا الهُراء ؟

التفتت (سلوى) إلى (نور) ، وتجاهلت عبارة (إيزاك) تمامًا ، وهى تسأل زوجها :

ـــ ما رأيك يا (نور) ؟

حكّ (نور) ذقنه بسبابته ، وهو يغمغم :

ـــ لست أدرى يا (سلوى) ، حقيقة لست أدرى

أطلق (إيزاك) ضحكة عصبية ساخرة قصيرة ، فهزّ (نور) رأسه ، وهو يردف :

ـــ لو أنك واجهت ما واجهنا من غرائب تفوق الخيال ، ما أطلقت مثل هذه الضحكة يا سيّد (إيزاك) ، فلست أشعر بمثل تلك الثقة التى تشعر بها .

غمغم (إيزاك) فى ازدراء :

ـــ هراء .

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمع ذلك التعليق المقتضب

ـــ إننا أمام حوادث اختفاء غامضة ، تحدث كلها فى مكان واحد ، وفى شهر واحد ، وتفصل بين كل منها والأخرى خمسون عامًا بالضبط ، وهذا التوافق ـــ فى أكثر من نقطة ـــ يجعلنى دائمًا حذرًا ، قلقًا ، ولست أميل ـــ فى مثل هذه الأحوال ـــ إلى إصدار الأحكام فى سرعة

هتف (إيزاك) فى حِدّة :

ـــ هُراء .. هُراء .. هُراء .. أراهنكم أننا سنجد (جاكوب) جالسًا يطالع أحد تلك الكتب السخيفة ، داخل الحجرة ، وأنكم ستجدونه أنتم جميعكم سليمًا معافى .

ويسمعون ضحكاته الساخرة .

تطلّع (نور) إلى ساعته ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول

ـ أخشى ذلك يا سيّد (إيراك) ، فقد انتهت المهلة

لم يكد (دافيد) يسمع هذا القول من (نور) ، حتى اندفع نحو الحجرة ، وفتح بابها على مصراعيه ، وهو يهتف في قلق :

ـ هل أنت بخير يا .. ؟

إلا أن الاسم الأخير تعلّق في حنجرته ، وأبى أن يفارق شفتيه ، وغصّ به حلقه ، وهو يتراجع إلى الخلف مصعوقًا

فقد كانت الحجرة خاوية تمامًا ..

وكانت معدة الضياع قد ابتلعت ضحية جديدة ضحيّة تحمل اسم (جاكوب) ..

• • •



٤ ـ أين ؟..

تراجع (إيراك) في مزيج من ذهول ورعب هائلين ، وهو يلوّح بذراعه ، صائحًا :

ـ مستحيل !!.. مستحيل !!

ثم التفت إلى الآخرين بعينين زائغتين ، وهو يردّد

ـ لا يمكن أن يكون قد اختفى .. لقد تركناه هنا .. أليس كذلك ؟!.. أليس كذلك ؟!

ولكنه لم يحصل على أي جواب ، فقد شحب وجه (دافيد) في شدة ، حتى بات بجسده النحيل ، وهيئته الرثّة ، أشبه بالأموات منه بالأحياء ، وامتقعت (سلوى) ، وهي تدير عينيها في أرجاء الحجرة الخاوية في رعب ، وعجز (محمود) عن التفوّه بحرف واحد ، وعقد (رمزي) و (نور) حاجبيهما في حيرة ، وران صمت طويل على المكان ، قبل أن يغمغم (نور) :

ـ لقد اختفى !

كانت عبارته بلا معنى في الواقع ، فلم يذكر سوى حقيقة رآها ولمسها الجميع ، إلّا أنه كان كمن يعيد إليهم القدرة على الحديث ، وينزع من أعماقهم الرُّعب والذهول ، فهتف

(داڤيد) فى صوت مختنق :

ـــ ولكن أين ذهب ؟.. أين ؟

اندفع (محمود) فجأة يقول :

ـــ الزموا جميعًا فى أماكنكم .

سألته (سلوى) فى توتر :

ـــ لماذا ؟

أجابها وهو يسرع نحو حقيبته ، ويخرج منها جهازًا ذا شاشة صغيرة :

ـــ لأنى لا أريد أن تتداخل موجاتكم الحرارية مع موجاته .

غمغمت (سلوى) :

ـــ لقد فهمت .

أومأ (نور) و (سلوى) برأسيهما دلالة على الفهم ، فى حين غمغم (إيزاك) فى عصبية :

ـــ هل لنا أن نفهم أيضًا ؟

أجابه (محمود) ، وهو يعدّ جهازه للعمل :

ـــ كل مخلوق حى فى هذا الكون ـــ يبعث موجة حرارية يا سيّد (إيزاك) ، ولقد اكتشف العلم ، منذ منتصف

الستينيات فى القرن العشرين ، أنه يخلف هذه الموجة خلفه ، بعد أن يغادر مكانه ، ويتركها لفترة قد تصل إلى ساعتين ، وتقلّ قوتها بالطبع مع ازدياد المدة[*] وفى حالتنا هذه كان السيّد (جاكوب) وحده فى هذه الحجرة ، خلال نصف الساعة الماضية ، وسيعمل جهازى هذا على التقاط الموجات الحرارية ، التى تركها خلفه ، مستعينًا بالأشعة تحت الحمراء ، ومتواكبًا مع انخفاض شدة الموجة بمرور الوقت و

قاطعه (داڤيد) ، وهو يغمغم فى توتر

ـــ لست أفهمُ شيئًا .

أشار (محمود) إلى شاشة جهازه ، وهو يضغط أزراره ، قائلًا :

ـــ هذا لا يهم .. راقب شاشة الجهاز فقط

التفّ الجميع حول الجهاز ، يراقبون شاشته الزرقاء ، التى اختلطت فوقها عدة أشكال حمراء متحرّكة ، فغمغم (إيزاك) :

ـــ ما هذا ؟

أجابه (محمود) ، وهو يراقب ما يحدث فوق الشاشة فى اهتمام :

(*) حقيقة علمية

— هذه موجاتنا الحرارية مجتمعة ، قبل أن تغادر الحجرة

فصنعت كتلة حمراء كبيرة ، واختفت خارج مجال الرؤية ، في حين بقي ظل أحمر ضخم في منتصفها ، وآخر ضئيل يقترب منه ، فهتف (دافيد) :

— هذا أنا .. لقد كنت آخر من تحدث إليه

ثم انفصل الظل الأحمر الضئيل ، وتوارى بدوره ، وبقي الظلّ الضخم ثابتًا بضع لحظات ، ثم اتجه نحو حائط الحجرة الأيمن ، وتوقف هناك لحظة ، فغمغم (نور) في اهتمام

— لقد اتجه نحو المرآة .

وفجأة شهقت (سلوى) ، وتراجع (دافيد) و (إبراك) في رعب ، واتسعت عينا (محمود) و (رمزي) عن آخرهما ، ومال رأس (نور) إلى الأمام ، وهو يحدق في شاشة الجهاز في دهشة ، فقد بدا للجميع وكأن ذراعًا قد برزت من المرآة ، وقبضت على عنق (جاكوب) ، ثم جذبته إليها ، فغاص جسده داخل المرآة ، وهو يقاوم بذراعيه وقدميه في استماتة ، حتى ابتلعت المرآة جسده كله ، ولم يعد هناك أي خط أحمر فوق الشاشة ، بل صارت زرقاء تمامًا

ورفع الجميع عيونهم إلى المرآة في رعب ، وبدت هي

بإطارها الأثري الضخم ، وانعكاساتها القوية الواضحة ، وكأنها تسخر منهم ، وتهزأ بهم

ومرّت لحظة من صمت مشوب بالرُّعب والتوتُّر ، قبل أن تغمغم (سلوى) في فزع :

— إنه .. إنه داخل المرآة !

حدّق الجميع في المرآة في رعب ، ثم انفصل عنهم (نور) ، واندفع نحو المرآة الأثرية ، وهو ينتزع مسدسه الليزري ، ووقف أمامها يتأملها في حيرة ، ثم مدّ كفه يتحسّس سطحها البلّوري الأملس ، وهو يغمغم في دهشة

— مستحيل !

لحق به (محمود) و (رمزي) و (سلوى) ، وتشبّثت الأخيرة بذراعه ، وهي تتطلّع إلى المرآة في رُعب ، في حين بقي (إبراك) و (دافيد) يحدقان في المرآة من بعيد ، قبل أن يهتف (رمزي) :

— إنها تبدو لي مرآة عادية .

غمغم (نور) :

— ومن زجاج فائق الجودة .

تمتمت (سلوى) في فزع :

— أليس من المحتمل أن يكون جهازك قد أخطأ يا (محمود) ؟

هز (محمود) رأسه نفيًا في بطء ، وهو يقول في توتر .

— مستحيل !

غمغم (نور) ، وقد انعقد حاجباه في حيرة وتفكير شديدين :

— ولكن

إلا أنه بتر عبارته على الفور ، والتفت إلى (رمزى) يسأله :

— ألم تشر كتب دراسات الظواهر فوق الطبيعية إلى هذه المرآة يا (رمزى) ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فعاد (نور) يتمتم :

— ولكن هذا ..

ومرة أخرى لم يتمّ عبارته ، وإنما امتلأ صوته بالحماس الزائد بغتة ، وهو يصدر أوامره لفريقه ، قائلًا :

— حسنًا يا رفاق .. سنركز جهودنا كلها على فحص هذه المرآة ، والحائط المقابل لها من الحجرة المجاورة ، فليقم

(محمود) و (سلوى) بذلك ، أما (رمزى) فعليه أن يذهب إلى منزل آخر مالك هذا القصر ، ويحاول معرفة تاريخ هذه المرآة .. متى وضعت هنا ؟ ومن وضعها ؟ .. أما أنا فسأفتش حجرات هذا القصر ركنًا ركنًا

سأله (إيزاك) في توتر :

— وماذا نفعل أنا و (دافيد) ؟

أجابه (نور) في صرامة :

— ابقيا هنا ، ريثما ينتهى (محمود) و (سلوى) من فحص الجدار المقابل لهذه المرآة .. في الحجرة الأخرى

ثم استدرك في حزم :

— ولكن حذار أن تقتربا من المرآة نفسها

وأردف في صرامة :

— حذار أن تضعا نفسيكما في فخ .. مصيدة الأشباح هذه .

* * *

زفر (إيزاك) في توتر ، وهو يدير عينيه في أرجاء الحجرة ، بعد أن خلت من الجميع ، سواه و (دافيد) ، والتصق بصره طويلًا بالمرآة ، وهو يقول في عصبية :

— هل تصدق هذا يا (داڤيد) ؟

أجابه (داڤيد) في صوت خافت ، يحمل توترًا هائلًا

— لقد رأيت ما رأيناه يا (إيزاك) .

لوّح (إيزاك) بذراعه ، وهو يهتف :

— هراء .. أراهنك أن ما رأيناه كان مسجلًا في جهاز ذلك الفتى من قبل .

غمغم (داڤيد) :

— ولكن كيف ؟ .. هل نسيت أن أحدًا لم يكن يتوقع أن يصرّ (جاكوب) على البقاء هنا وحده ؟

هتف (إيزاك) في حدّة :

— هم دفعوه إلى ذلك .

هزّ (داڤيد) رأسه في توتّر ، وهو يغمغم :

— مستحيل !!.. لقد ..

قاطعه (إيزاك) ، وهو يتجه نحو المرآة ، قائلًا في عصبية

— لقد كانت خدعة متقنة ولا شك ، ولكنها لن تنطلي عليّ

هتف (داڤيد) في ذعر :

— كلّا .. لا تقترب من المرآة . هل نسيت ما أمرنا به الرائد المصري ؟

صاح (إيزاك) في حنق :

— إنه لا يملك أن يصدر إلينا أوامره .

ثم تحسّس سطح المرآة ، وهو يستطرد

— هل رأيت ؟ .. إنها مجرد مرآة عادية ، لا يوجد بها ما يخيف .

ارتجف جسد (داڤيد) ، وهو يقول :

— حذارِ يا (إيزاك)

أطلق (إيزاك) ضحكة عصبية ، وهو يقول

— هراء .. هأنذا ألمسها ، دون أن يمسّني أدنى سوء .. الأغبياء وحدهم يخشون مرآة عادية يا صديقي .. انظر إليها

ولكن نظرة الرعب الهائلة ، التي تألّقت في عيني (داڤيد) ، جعلت (إيزاك) يدير عينيه نحوه ، ويلتفت إلى المرآة ، التي يحدّق فيها (داڤيد) بكل هذا الرعب .. ولم يكد يفعل حتى انتفض جسده في رعب هائل ، واحتبست في حلقه صرخة .. انطلقت من بين شفتي (داڤيد) عالية مدوّية ، وهو يلوّح بذراعيه في قوّة ، ويتراجع صارخًا

— كلّا .. ليس أنا .. ليس أنا ..

ثم أعقب بصرخة أخرى، دوت كالعاصفة في (منطقة الضباع)..

* * *

انتزعت صرخة (دافيد) الجميع من أماكنهم، فاندفع (نور) يقفز درجات سلم الطابق الثانى، ليهبط فى حجرة المكتب، وقفز (محمود) و (سلوى) يعدوان من الحجرة المجاورة لها، نحوها، والتقى الجميع أمام الحجرة فى اللحظة ذاتها، وتسمّر (محمود)، وهو يحدّق فى جهاز الانتقال الحرارى، الذى تحطّم فى عنف، كما لو أن مطرقة تزن أطناناً قد هوت فوقه، فى حين تخطّى (نور) الجهاز بخطوة واحدة، واندفع داخل الحجرة، ولحقت به (سلوى)، التى اتسعت عيناها فى رعب، حينما وقع بصرها على (دافيد)، الذى انكمش فى ركن الحجرة، ملتصقاً بمكتبته الضخمة وقد جحظت عيناه، وامتقع وجهه حتى بات فى بياض الشمع، وهو يحدّق فى المرآة، التى انتصبت ساكنة مثبتة على الحائط المقابل



واندفع داخل الحجرة، ولحقت به (سلوى)، التى اتسعت عيناها فى رعب، حينما وقع بصرها على (دافيد)، الذى انكمش فى ركن الحجرة

واندفع (نور) نحو (دافيد) ، وأمسك كتفيه يهزه في
قوة ، وهو يسأله في توتر :
ـ ماذا حدث ؟.. أين (إيزاك) ؟
حدق (دافيد) في وجهه في رعب ، وجحظت عيناه وهو
يحاول أن ينطق بكلمة ما ، ثم يتلعثم ... في بلاهة ، وهو
يشير إلى المرآة ، وقد بدا في لحظة رجلاً مصاباً بالجنون
ـ الشياطين .. الشياطين التهمته
عاد (نور) يهزه في قوة ، وهو يهتف :
ـ أية شياطين ؟ ... عليك .. أية شياطين
تطلع (دافيد) إلى المرآة في رعب حقيقي ، وبدت ملامحه
أقرب إلى البكاء ، وهو يجيب :
ـ الشياطين .. شياطين المرآة .. لقد خرجوا منها ،
وحطموا الجهاز ، والتهموا (إيزاك)
وجحظت عيناه ، وهو يستطرد في ذعر
ـ كلا .. ليس أنا .. ليس أنا .
وفجأة شعر (نور) بأصابع (سلوى) تنغرس في ذراعه
وسمعها تشهق في رعب شديد ، فتخلى عن كتفي (دافيد) ،
والتفت إليها صائحاً

ـ ماذا حدث ؟
أشارت إلى المرآة ، وهي تقول في رُعب
ـ الشياطين يا (نور) !! هناك .
رفع عينيه إلى المرآة في سرعة ، فألفاها عادية ، يعكس
سطحها صورتهما في وضوح ، فعقد حاجبيه ، وهو يسألها في
حدة
ـ أية شياطين يا (سلوى) ؟
صاح (دافيد) في رعب :
ـ شياطين المرآة !! شياطين المرآة !!
هتف (نور) وقد بلغت ثورته مبلغها :
ـ أية شياطين يا (سلوى) ؟
عادت (سلوى) تشير إلى المرآة ، وانتفض جسدها في
رُعب ، وهي تقول :
ـ لقد رأيتها يا (نور) .. رأيت وجوهاً بشعة ، تتطلّع
إلينا عبر المرآة .
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلّع إلى المرآة في دهشة ،
في حين تشبّثت هي بذراعيه ، وهي تستطرد في رعب هائل
ـ إنه الجحيم يا (نور) .. الجحيم بعينه .. لقد رأيته

يا (نور) .. رأيت براءته .. دعنا نغادر هذا المكان البشع يا (نور) .. أرجوك ..

حاول جسده نزعه في جنون ، وارتجف جسده – على الرغم منه – وهو يتطلع إلى المرآة الصافية . ويستعيد كلماتها ، ثم غمغم في شحوب :

– نعم .. إنه الجحيم .. جحيم الضياع .

* * *

٥ – بوّابة الجحيم ..

« لقد أصيب بالجنون .. »

غمغم (رمزي) ، وهو يسحب إبرة المهدئ من وريد (داڤيد) ، وهز رأسه في أسف ، وهو يستطرد

– لا ريب أنه قد تعرض إلى رعب هائل ، حتى يصل به الأمر إلى هذا الحد .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم :

– وكذلك (سلوى) .

تنهد (رمزي) ، وهو يقول في إشفاق :

– سيعاونها المهدئ ، الذي أعطيتها إياه ، على النوم

مط (نور) شفتيه ، واتجه ليجلس فوق مقعد قريب ، وهو يقول :

– هناك شيء ما خلف هذه المرآة .

هتف (محمود) في حيرة :

– أين يا (نور) ؟ لقد كنا أنا و (سلوى) في الحجرة المجاورة ، نفحص الحائط الملاصق لظهر المرآة ، حينما حدث

ما حدث . وهذا الحائط معلق ، ويبلغ سمكه خمسة وعشرين سنتيمترا . فماذا يمكن أن يوجد خلف المرآة ؟

هزّ (رمزى) رأسه ، وهو يضيف :

ـ وحتى لو افترضنا وجود شيء ما خلف المرآة ، فكيف يمكنه عبورها ، دون أن يكسرها ؟

تنهّد (نور) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى أى شيء يوجد خلف المرآة ، ولا كيف يعبرها يا رفاق ، ولكنّ هناك شيئًا بالتأكيد ، وهناك وسيلة ما .

ثم رفع عينيه إلى (رمزى) ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ هل عثرت على شيء بخصوص المرآة ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا .. لا أحد يعلم متى وكيف أتت ! ، ولكنهم يجمعون على أنها هناك ، فى نفس موضعها ، منذ نشأتهم

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا !!

ثم نهض مردفًا :

ـ دعونا نفحصها مرة أخرى يا رفاق

هبط خلفه (محمود) و (رمزى) إلى الطابق السفلى ، حيث حجرة المكتب ، وتركوا (سلوى) و (دافيد) نائمين ، من أثر المهدئ ، الذى حقنهما به (رمزى) ، وحينما بلغ ثلاثتهم حجرة المكتب ، أشار (نور) إلى جهاز الالتقاط الحرارى المحطّم ، وهو يقول :

ـ ها هو ذا أهمّ دليل على وجود شيء ما يخرج من المرآة

وقف الثلاثة أمام المرآة ، يتطلعون إليها فى حيرة ، ثم غمغم (محمود) :

ـ لا يمكننى تصديق ذلك .. ماذا يوجد هناك يا ترى ؟

أجابه (نور) ، وهو يفحص إطار المرآة فى اهتمام

ـ لقد قال (دافيد) إنهم شياطين ، يخرجون من المرآة لالتهام ضحاياهم ، وقالت (سلوى) إنها قد رأت وجوههم ، ورأت نيران الجحيم .

امتقع وجه (رمزى) ، وهو يغمغم :

ـ جحيم ؟!.. نيران ؟!.. شياطين ؟!.. يا إلهى !

سأله (نور) ، وهو يواصل فحص المرآة فى عناية متزايدة :

ـ هل يوحى إليك هذا بشيء ما ؟

أجابه (رمزى) فى صوت مرتجف :

— الجن يا (نور) .

اعتدل (نور) فى حركة سريعة ، وتطلع إلى وجه (رمزى) فى دهشة ، ثم ضحك فى حيرة ، وهو يغمغم .

— الجن ؟!

أجابه (رمزى) فى حزم :

— نعم يا (نور) . لا تسخر من هذا القول ، أو تستنكره . فالجن حقيقة واقعة ، جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، وفى كل الكتب السماوية ، وهم مخلوقات مثلنا . فيهم الأخيار والأشرار ، والمؤمنون والكفار

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

— إننى أؤمن بوجود الجن بالطبع يا (رمزى) . ولكننى لست أجد رابطًا بينهم وبين ما يحدث هنا

اندفع (محمود) يقول :

— على العكس يا (نور) . إن الجن مخلوقات تعيش حولنا ، وفيما بيننا ، ولكن كل منا يحيا فى دنياه الخاصة ، التى تجعله غير مرئى ، أو محسوس بالنسبة للآخر

أشار (نور) إلى المرآة ، وهو يقول فى دهشة

— وما علاقة ذلك بلغزنا ؟

تطلع (رمزى) إلى المرآة ، وهو يغمغم فى توتر

— ومن أدراك أن هذه المرآة ليست البوابة ، التى توصل بين عالمينا ؟

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— بين عالم الإنس وعالم الجن .

زفر (نور) ، وقال :

— دعونا نتحدث بأسلوب علمى يا رفاق .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

— الحديث عن الجان لا يتنافى مع الأسلوب العلمى يا (نور) . فكل حقيقة هى قاعدة علمية

تحسس (نور) إطار المرآة ، وهو يقول :

— لا بأس .. هل تشير معلوماتك عن الجن إلى وسيلة تثبيت هذه المرآة إلى الحائط ؟

تطلع (رمزى) و (محمود) إلى إطار المرآة فى اهتمام ، ثم غمغم (محمود) :

— ربما كانت ملصقة على الحائط مباشرة . فلست أرى أثرًا للمسامير فى إطارها .

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول :
— نعم .. ربّما .
ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يستطرد :
— هل تعلمون فيم أفكّر يا رفاق ؟
سألاه في قلق :
— فيم ؟
أشار إلى المرآة ، وهو يجيب :
— أفكّر في تحطيم بوّابة الجحيم هذه .
هتف (رمزى) في دهشة :
— تحطيمها .
أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :
— نعم .. إنه الشيء الذي يدير رءوسنا ، ويثير في نفوسنا القلق والرعب .. فلم لا نحطّمها ، وننهي كل هذا ؟
تطلّع (محمود) إلى المرآة في قلق ، وهو يغمغم
— لست أدرى يا (نور) .. إنني أخشى أن .....
قاطعه (نور) في صرامة :
— ماذا تخشى ؟
تنهّد في يأس ، وهو يغمغم

— لست أدرى يا (نور) .. افعل ما بدا لك .
التفت (نور) إلى (رمزى) ، وسأله :
— وماذا عنك ؟
مطّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول :
— لا بأس .. دعنا نحاول .
تألقت عينا (نور) في حزم ، واتجه نحو جهاز (محمود) المحطّم ، فانتزع منه ذراعًا حديدية ، وعاد أدراجه إلى المرآة ، ورفع الذراع عاليًا ، وهو يقول :
— نعم .. دعنا نحاول .
ثم هوى على المرآة بالذراع الحديدية ، بكل ما يملك من قوّة .
وفي اللحظة التالية ، انتفضت أجساد أبطالنا الثلاثة في عنف .
انتفضت لأن ارتطام الذراع المعدنية بالمرآة لم يحطّمها ، وإنما أطلق منها رنينًا قويًّا ، يشبه رنين آلاف المعادن يرتطم بعضها ببعض ، ترددّ صداه فسيحًا ، عميقًا ..

ثم هوى على المرآة بالذراع الحديدية ، بكل ما يملك من قوة

ولأن هذا الرنين قد امتزج بصرخة مدوية ، انصب في الطابق العلوي .

صرخة رُعب ، من بين شفتيْ (سلوى)

* * *



٦ — الكابوس ..

لم يبال (نور) بذلك الرنين المخيف ، الذي انبعث من ارتطام الذراع الحديدية بالمرآة الغامضة ...

لم يبال بصداه ، الذي تردّد طويلًا ...

كل ما سمعه ، وملأ حواسه في تلك اللحظة ، هو صرخة (سلوى) ؛ لذا فقد رمى الذّراع الحديدية ، وانطلق يركض كالبرق نحو حجرتها ، وأقسم (محمود) و (رمزى) فيما بعد ، أنه قد صعد الدرجات العشرين ، التي تقود إلى الطابق الثاني ، في قفزتين فحسب ، قبل أن يقتحم الحجرة ، التي ترك فيها زوجته ، وهو يهتف في جزع :

— ماذا حدث يا (سلوى) ؟

وعلى الرغم من نظرات الرُّعب ، التي ملأت عينيها ، إلّا أنه شعر بارتياح بالغ ، حينما وجدها تجلس فوق فراشها ، وتتطلّع إليه ، فقد حاصره الرُّعب لحظات ، خشية أن تكون قد ذهبت ضحيّة لمطفة الضباع بدوْرها .

واندفع إليها (نور) ، يحتضنها بكل حنان وارتياح ، وهو يكرّر سؤاله :

— ماذا حدث يا (سلوى) ؟ ماذا حدث يا عزيزتي ؟

سالت الدموع من عينيها ، وهي تتشبث به ، هاتفة :

— كابوس بشع يا (نور) ... كابوس كاد قلبي يتوقّف من شدة رُعبي خلاله ...

لحق به (محمود) و (رمزى) في تلك اللحظة ، واستمعا إلى عبارتها الأخيرة ، فسألها (رمزى) في اهتمام :

— ماذا رأيت في هذا الكابوس يا (سلوى) ؟

اتسعت عيناها في ذُعْر ، وهي تهتف :

— الشياطين ... رأيت الشياطين في قلب الجحيم ...

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يربّت في حنان ويسألها .

— ماذا رأيت بالضبط يا (سلوى) ؟

هتفت في انفعال ، وهي تروي :

— رأيتني أسير معك يا (نور) ، نحو حجرة المكتب اللعينة تلك ، وندخلها ، ثم نتجه نحو المرآة ، وأنا أحاول منعك من الدنو إليها ، وأنت تصرّ على اقتحامها ، وفجأة تحوّلت المرآة إلى باب مفتوح يطل على عالم مخيف ... مخيف ... سماؤه حمراء ، وأرضه صخرية جرداء ، تنبعث النيران من شقوقها ، وصرخت أتوسّل إليك ألا تلج ذلك الجحيم ، ولكنك جذبتني قسرًا إليه ،

ولم يكد يدخله ، حتى عادت المرآة تحتل الطريق خلفها ، وأحاط بها الشياطين بوجوه مُرْعبة ، مخيفة ، ورأيتك ترفع يدك وتهوى بها على رأس أحدهم ، فيصدر عن ارتطام يدك برأسه رنين مخيف ، جعلنى أطلق صرخة مدوّية ، واستيقظ على الفور ..

تبادل (نور) نظرة دهشة مع (رمزى) ، الذى غمغم فى خفوت :

ـ لن تجد لدىّ تفسيرًا لذلك يا (نور)

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وعاد يربّت على كتف (سلوى) مطمئنًا ، وهو يقول فى خفوت

ـ لا عليك يا عزيزتى ، لقد انتهى كل شىء .. عودى إلى النوم .

تعلّقت بذراعه ، وهى تهتف فى رُعب

ـ كلّا .. لا تتركنى وحدى .. سأصحبك أينما ذهبت

تردّد لحظة فى قلق ، ثم عاد يربّت على كتفها ، قائلًا

ـ لا بأس يا (سلوى) ستصحبينا

ثم تنهّد ، قبل أن يستطرد :

ـ والله (سبحانه وتعالى) وحدَهُ يعلم .. أيهما سيكون الكابوس الأعظم .. حلمك أم تلك المرآة !

* * *

وقف (نور) ورفاقه يتطلّعون إلى المرآة طويلًا ، فى مزيج من الحيرة والخوف ، قبل أن يغمغم (محمود)

ـ ما زلت أتصوّر ذلك الرنين المخيف يتردّد فى أذنىّ يا رفاق

غمغم (رمزى) :

ـ كلنا هذا الرجل يا (محمود) .

أشار (نور) إلى المرآة ، وهو يقول :

ـ لقد كان له جانب حسن على الأقل ، فلقد أثبت لنا أنها ليست مرآة عادية .

غمغمت (سلوى) فى توتّر :

ـ ما هى إذن ؟

لوّح (نور) بكفه ، وهو يقول :

ـ حتى الآن ، فالبشرىّ الوحيد الذى كان يعلم طبيعتها هو (عبد الجوّاد) باشا .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ كيف يمكنك أن تجزم بذلك ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كل الأحداث تؤكد ذلك يا (رمزى)

ثم اعتدل مواجهًا المرآة ، وعاقدًا كفيه خلف ظهره ، وهو يستطرد

— لقد وضع (عبد الجواد) هذه المرآة على حائط كامل ، وأحاطها باهتمام يفوق كونها مجرد مرآة عادية ، حتى أنه فضّل أن يسد نافذة الحجرة الوحيدة ، حتى يصبح مكانه على أن يتأكد من وضع المرآة ، ومن الخطأ أن نتصور أنه قد فعل هذا ، عن أنه كان يميل إلى تعريضه ، فقد كانت النافذة تطل على النيل ، وليس عن طريق يمكن لمرآة خلافها تطل عبره ، وأغلب الظن أنه قد تعمد إغلاق النافذة ، حتى لا يرى أحد — ولو بالمصادفة — ماذا يحدث داخل الحجرة ، ولكن (عبد الجواد) ، بعد أن ارتكب خطأ ما ، في ليلة من ليالي شهر (مارس) ، منذ مائة عام ، فالتهمته المرآة ، واختفى من هذا العالم ، وورث ابنه (أحمد) ، الذى عاش حياة عادية ، حتى عثر على مذكرات والده ، التى كانت تحوى — ولا ريب — سر هذه المرآة ، فبمجرد مطالعته لتلك المذكرات ، التهمته المرآة بدوره ، ولحق بوالده في مكان ما ، ولا ريب أن (جاكوب) و (إيزاك) ، وغيرهم قد ارتكبوا الخطأ نفسه ، مما جعلهم يذهبون إلى العالم ذاته .

سأله (محمود) في توتر بالغ :

— أى خطأ يا (نور) ؟ وأى عالم ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— لست أدرى يا (محمود) . لست أدرى بعد .

انبعث فجأة صوت يصرخ :

— لقد تحرّروا الشياطين .

ارتجفت أجساد الجميع ، وهم يلتفتون في حدة إلى مصدر الصوت ، وشهقت (سلوى) في ذعر ، حينما طالعهم وجه (دالجيد) ، بعينيه الجاحظتين في جنون ، وهو يقف بباب الحجرة ، ملوّحًا بذراعيه ، ومستطردًا في عصبية .

— لقد تحرّروا شياطين الجحيم ، فأعيدوهم إليه .

أسرع (رمزى) نحوه ، وهو يقول :

— عُدْ إلى فراشك يا سيّد (دالجيد) . إنك مازلت ..

قاطعه (دالجيد) ، وهو يصرخ في جنون :

— إليك عنّى ..

ثم اندفع نحو المرآة ، وهو يستطرد :

— إنهم يريدوننى . إننى أسمع نداءاتهم من قلب الجحيم

قفز (نور) يمسك به ، قبل أن يبلغ المرآة ، وهو يهتف :

ـ كلا .. لا تقترب منها .

صرخ (دافيد) في ثورة ، وهو يحاول التملص من قبضة (نور) :

ـ ابتعد .. ابتعد عني واتركني .. لقد حان دوري ..

حاولت (سلوى) تهدئته في جزع ، وهي تربت على كتفه ، مغمغمة في توتر :

ـ اهدأ يا سيد (دافيد) .. إنها مجرد أوهام و..

ولكن (دافيد) دفعها بعيدًا في قسوة ، وهو يصرخ

ـ إليك عني ..

تراجعت (سلوى) في عنف ، إثر دفعته ، ورآها الجميع تصطدم بالمرآة ، فصرخ (نور) في رعب

ـ كلا .. كلا ..

وقفز محاولًا إمساكها ، ولكنه تجمّد في مكانه في رعب ، وجحظت عيناه وعيون رفاقه في ذهول ، فبدلًا من أن ترتطم (سلوى) بالمرآة ، فوجئ بها الجميع تغوص داخلها

نعم .. تغوص ..

تغوص كما لو أن تلك المرآة مجرد صورة وهمية ، عبرتها (سلوى) بلا مقاومة ، واختفت داخلها ، قبل أن تعود المرآة

لتعكس صورة الحاضرين في وضوح

واندفع (نور) محاولًا اللحاق بزوجته ، ولكنه ارتطم بسطح المرآة ، فاتسعت عيناه في رعب ، وهو يطرق السطح البلّوري الناعم بقبضتيه ، صارخًا :

ـ كلا .. ليس (سلوى) .. ليس (سلوى) ..

ولكن هيهات .. لقد بدأ الكابوس الحقيقي ..

كابوس (منطقة الضباع) ..

* * *



٧ ــ فى قلب الجحيم ..

لا أحد يمكنه أن يتصوَّر ما أصاب (نور) ، حينما شاهد تلك المرآة اللعينة تبتلع زوجته !..

لقد تحوَّل إلى وحش كاسر ..

وحش يفيض لوعة وأسًى ..

ولقد بدا وكأنه يصرخ ويرجو ويهذى فى آن واحد ، وهو يضرب المرآة بقبضته ، ويحاول انتزاع إطارها فى إصرار ، حتى هتف به (رمزى) ، وهو يحاول جذبه بعيدًا

ــ كلَّا يا (نور) .. كلَّا .. ليست هذه هى الوسيلة

دفعه (نور) بعيدًا ، وراحت عيناه وهو يلتهم المرآة بصره فى غضب هائل ، ويهتف فى لوعة :

ــ لقد اختطفوا (سلوى) يا (رمزى) .. (سلوى) !!

ثم أردف وهو يضرب راحته بقبضته فى هياج

ــ لابدَّ من وسيلة لاحتراق هذا الشىء اللعين .. لابدَّ

عاد (محمود) عدوًا من الحجرة المجاورة ، وهتف وهو يلهث :

ــ لا شىء .. أين يذهب من تبتلعهم تلك المرآة ؟!

صاح (نور) فى مرارة :

ــ إلى عالم آخر ، أو بعد آخر .. وربَّما إلى الجحيم نفسه يا (محمود) ، هذا لا يعنينى .. المهم هو كيف يمكن اختراق ذلك الحاجز الخرافى ؟.. كيف ؟

وتحوَّل صياحه إلى صرخة هائلة ، تموج بالغضب واللوعة والسخط ، وهو يردف :

ــ كيف ؟!

* * *

قشعريرة عجيبة ، مخيفة ، باردة ، تلك التى سرت فى جسد (سلوى) ، حينما اخترقت المرآة ، وعبرتها إلى ذلك العالم ، الذى يحيط بها الآن ..

لقد شاهدت مثل الآخرين تلك المرآة تبتلع جسدها ، وتنتزعها من عالمها ، إلى عالم آخر عجيب مخيف ..

لقد وجدت نفسها تسقط داخل ما يشبه أطلال معمل قديم ، وكل شىء حولها يصطبغ بلون واحد .. هو اللون الأحمر ..

بقايا الجدران المتهدِّمة حمراء ..

السماء ، التى تبدو من الأجزاء المحطَّمة ، فى لون الدم .

حتى الأرض الصخرية الجرداء ، التي تناثرت فيها عشرات الأطلال ، وبقايا المنازل المهدمة ، حمراء قانية متشققة ..

ومن تلك الشقوق ، التي تنتشر في تلك الأرض المخيفة ، تصاعدت ألسنة اللهب ..

وانكمشت (سلوى) في رُعب هائل

إنه نفس الكابوس ..

نفس الكابوس الذي أصابها برُعب لا مثيل له ، وهي ترقد على فراشها ، في عالمها ..

إنها الجحيم ، التي راودت أحلامها ، وخفق لها قلبها في خوف لم تشعر بمثله من قبل ..

واتسعت عيناها ، وهي تحدّق في كل ما حولها ، وتغمغم في ارتياع :

— إنه كابوس .. سأستيقظ منه ولا شك .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا .. إنه كابوس ..

انتبهت فجأة إلى وجود مرآة مماثلة ، تحتل الجدار الملاصق لها ، في ذلك العالم المخيف ..

مرآة لها نفس الحجم ، ونفس الإطار

ولكنها تعكس ذلك اللون الأحمر على نحو مخيف

وعادت (سلوى) تردّد عبارات مرتجفة ، وصوت خنقه الرُّعب .

— إنه كابوس !!.. كابوس!!

وفجأة لاح لها ظلّ يقترب ..

ظل بشري ضخم مخيف ..

وعلى ذلك الضوء الأحمر ، الذي يصبغ كل ما حولها بصبغة الجحيم ، رأت ذلك الوجه البشع ..

وجه شيطان يحدّق فيها بعينين بلا حدقات .

والتصقت (سلوى) بالمرآة ، وراحت تهتف في رُعب ، تملّك كل خلية من خلاياها ..

— إنه كابوس !! كابوس !!

وامتدت نحوها يد حرشفية ، حادّة الأظفار

يد شيطان من أعماق الجحيم ..

* * *

راح (نور) يدور في أرجاء الحجرة كالليث الجريح ، وهو يتطلع بين الفينة والفينة إلى المرآة في غضب يائس ، وقد لاذ رفيقاه (رمزي) و (محمود) بالصمت المطلق ، وكأنما أدركا أن كلماتهما ، مهما بلغ تعاطفهما ، ومهما بلغت بلاغتها ، لن تخفف ذرة واحدة من حزن (نور) الهائل



وتتشبث (سلوى) بالمرآة ، وراحت تهتف في رعب ، ملك كل خلية من خلاياها .. إنه كابوس !! كابوس !!

حتى (داڤيد) لزم الصمت ، وكأنما شلته تلك المفاجأة من هولها ..

وفجأة قطع (نور) حبل الصمت ، حينما دوّى صوته الساخط الملتاع :

ــ ولكن لماذا ؟!

ثم تشبث بذراع (محمود) ، وهو يهتف في صوت أقرب إلى الضراعة :

ــ قل لي يا (محمود) لماذا ؟! لماذا عبرت (سلوى) المرآة ، في حين أعجز أنا ؟! ما كلمة السرّ ، التي تفتح لنا بوّابة الجحيم هذه ؟

انفرجت شفتا (محمود) ، وكأنه سينطق بعبارة ما ، إلا أنه لم يلبث أن اكتفى بهز رأسه في حيرة وأسف ، فترك (نور) ذراعه ، والتفت إلى (رمزي) ، مستطردًا في مرارة :

ــ قل لي أنت يا (رمزي) ، ما الذي فعلته (سلوى) ، ولم أفعله أنا ؟!

غمغم (رمزي) في إشفاق :

ــ اهدأ يا (نور) .. لقد اختار القدر (سلوى) و ..

لم يبد على (نور) أنه قد سمع حرفًا واحدًا ، وهو يشيح بوجهه ، مكملًا في هياج

— لقد اندفعت (سلوى) نحو المرآة بزاوية ميل .. نعم .. بزاوية ميل تساوى خمسًا وأربعين درجة تقريبًا ، ولم ترتطم بها عموديًا ، مثلما أفعل أنا .

هتف (محمود) فى توتر :

— كفى يا (نور) .

ولكن (نور) تجاهل العبارة تمامًا ، وهو يتجه إلى الحائط المقابل للمرآة ، ويستدير نحوها ، مستطردًا

— ربما لو فعلت مثلها .. لو قفزت نحو المرآة بزاوية ميل

قبل أن يتم عبارته ، اندفع فجأة نحو المرآة ، فصرخت (رمزى) فى رعب :

— كلا يا (نور) .

ولكن (نور) صاح فى ثورة :

— إلى قلب الجحيم .

ثم قفز فى قوة ، واندفع جسده نحو المرآة ، و . .

وانتقل إلى قلب الجحيم ..

* * *

٨ — عالم الرُّعب ..

قفزت (سلوى) مبتعدة عن يد الشيطان ، الذى التهبت عيناه بالغضب ، وبدت ملامحه الشبيهة بوجه عظاءة (سحلية) ضخمة تنقلب ، وهو يصدر صوتًا مخيفًا ، أشبه بمزيج من خوار ثور ، وفحيح ثعبان ، وعاد يتقدَّم نحوها ، وهى تتراجع فى رعب ، حتى التصقت بالحائط المواجه للمرآة ، أو بمعنى أدق .. ببقاياه ..

واقترب منها ذلك الشيطان ..

واقترب .. واقترب ..

وفى هذه المرة ، لم يكن لديها مكان يمكنها أن تفرّ إليه ..

ولم يعد لديها أمل ..

وفجأة انقلب كل شىء رأسًا على عقب ..

فى نفس اللحظة التى كاد فيها الشيطان ينشب مخالبه فى عنقها ، وأوشك فيها قلبها على أن يكفّ عن الخفقان ، من شدة رعبها ، رأت زوجها (نور) يندفع عبر المرآة ، ويسقط وسط الأطلال الحمراء ..

وصرخت (سلوى) باسم زوجها ، واستدار الشيطان ،

لبراجمه ، في حين حدّق (نور) فيهما أمامه ، وهو يغمغم في ذهول :

ــ يا إلهي !!

وأطلق الشيطان صرخته ، الشبيهة بخوار الثور وفحيح الأفعى ، واندفع نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير أسرع بنزع مسدسه الليزري ويطلقه نحو الرأس الشبيه بالغطاءة (بالسحلية) تمامًا ..

وارتفعت صرخة الشيطان في صخب مخيف ، وتصلبت يداه ذات المخالب ، في الهواء ، ثم هوى عند قدمي (نور) دفعة واحدة ..

ورفع (نور) عينيه إلى (سلوى) ، وهمس كل منهما باسم رفيقه في لهفة ، ثم اندفع كل منهما بين ذراعي الآخر ، وتحسس (نور) رأس زوجته في حنان وارتياح ، على حين تفجرت الدموع من عينيها ، وهي تهتف في رُعب

ــ (نور) .. حمدًا لله .. لقد تصوّرت أنها النهاية

ثم رفعت عينيها إليه ، وهي تسأله في هلع

ــ أين نحن يا (نور) ؟ . ما هذا المكان المخيف ؟

تلفت حوله في توتر ، وهو يغمغم .

ــ لست أدري يا (سلوى) .. لست أدري .. لست أعرف أين نحن !

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد في حزم :

ــ ولا يهمني أن أعرف .. المهم أن نغادر هذا الجحيم على وجه السرعة .

سألته في ارتياع :

ــ كيف يا (نور) ؟ .. كيف السبيل إلى الخروج من هنا ؟

أشار إلى المرآة الحمراء ، وهو يقول :

ــ عبر المرآة يا (سلوى) .. كما أتينا إلى هنا .. المهم أن نقفز إليها بزاوية مائلة .

وأمسك يدها يقودها إلى المرآة ، وأوقفها إلى جوارها ، وهو يقول مستطردًا :

ــ سنندفع معًا نحو المرآة يا سلوى ، بزاوية ميل مناسبة ، ثم نصطدم بها ، وسنجد نفسينا في عالمنا من جديد

هتفت في ذعر :

ــ ليت هذا يحدث يا (نور) .. ليتنا نغادر هذا الجحيم .

ربّت على كتفها ، وهو يقول :

ــ بإذن الله يا (سلوى) .. سنفعل بإذن الله .

وتركها ، وهو يستطرد في توتر :

— هيا .

اندفع كلاهما في لحظة واحدة نحو المرآة ، واصطدما بها بزاوية ميل مناسبة ، ولكن .....

لم يحدث شيء على الإطلاق ..

عاودا المحاولة مرّة ، ومرات ، ولكن دون جدوى ..

لم تسمح لهما تلك المرآة اللعينة بمغادرة الجحيم أبدًا ..

وأخيرًا انهارت (سلوى) في يأس ، واغرورقت عيناها بالدموع ، وهي تقول باكية :

— لا فائدة يا (نور) .. لا فائدة .. لقد كُتب علينا البقاء هنا إلى الأبد .

التمعت عيناه في ذُعر ، وهو يقول :

— مستحيل !! مستحيل !! لابدّ من وجود وسيلة ما ..

توقفت الكلمات في حلقه بغتة ، وحدّق أمامه في توتر شديد ، وجحظت عينا (سلوى) في رُعب هائل ، فقد برزت فجأة ، من خلف الحائط المحطّم ، المواجه لهما ، خمسة رءوس شبيهة بوجوه العظاءات (السحالي) ، وراحت عشر عيون دمويّة تحدّق فيهما ..

لقد أحاط بهم الشياطين ..

شياطين (منطقة الضياع) ..

* * *

هتف (محمود) في توتر بلغ ذروته ، وهو يشير إلى المرآة :

— لا بد أن نلحق بهما .. لن نتركهما وحدهما هناك ..

صاح به (رمزى) في توتر مماثل :

— هناك !؟ .. وماذا تعني بهناك يا (محمود)؟ .. إنك تتحدث كما لو أنهما على قيد الحياة ، خلف أو داخل تلك المرآة اللعينة ..

صاح (محمود) في حِدّة :

— ومن أدراك أنهما ليسا كذلك ؟

هتف به (رمزى) في صرامة :

— ومن أدراك أنهما كذلك ؟

لهث (محمود) من فرط الانفعال ، وهو يقول في إصرار :

— أيًا ما كان الأمر ، فلن نتخلّى عنهما ..

هتف (رمزى) في حَنَق :

— ومن قال إننا سنفعل ؟

ثم ربّت على كتف (محمود) ، مستطردًا

— المهم أن نقدم على الخطوة الصحيحة، وإلا خسرنا كل شيء.

قال (محمود) في عصبية:

— الخطوة الصحيحة هي أن نلحق بهما

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا، وهو يقول في حزم

— بل أن نبقى هنا.

وقبل أن يهتف (محمود) معترضًا، أسرع يستدرك

— ونبذل كل المحاولات الممكنة لاستعادتهما من هناك، لو أنهما ما زالا على قيد الحياة.

ثم أمسك كتفي (محمود)، وواجهه في حزم، وهو يستطرد:

— أنت عالم عبقري في علم الأشعة، ونحن هنا نقف على أرض صلبة، ويمكننا الحصول على كل معاونة ممكنة، والإجراء الأفضل أن نستغل كل هذا، في محاولة معاونتهما، وإلا أصبحنا جميعًا في حاجة إلى المعاونة.

أطرق (محمود) بوجهه أرضًا، وسالت الدموع من عينيه، وهو يغمغم في حزن:

— نعم يا (رمزى)... علينا أن نبذل أقصى جهدنا؛ لاستعادتهما.

وسقطت قطرة دمع من عينيه، وارتطمت بأرض الحجرة، وهو يستطرد في مرارة:

— لو أنهما ما زالا على قيد الحياة.

* * *

كان مشهد الشياطين الخمسة، وهم يقفزون فوق بقايا الحائط المحطَّم، ليهاجموا (نور) و (سلوى)، مُخيفًا، مفزعًا، مُرْعبًا، إلا أن (نور) لم يسمح للرُّعب بالسيطرة على انفعالاته، ودفع (سلوى) بعيدًا، ثم أطلق دفعة من أشعة مسدسه الليزرية، احترقت رأس أحد الشياطين الخمسة، ودار على عقبيه ليردي آخر قتيلًا، ثم التفت إلى الثالث، وحاول أن يطلق أشعة مسدسه على رأسه بدوره، ولكن الرابع رفع في قبضته جسمًا يشبه كرة مضلَّعة، وضغطه بأصابعه ذات الأظفار الحادة، فانطلقت منه فقاعة هلامية مضيئة، اندفعت نحو (نور)، وأصابت يده الممسكة بالمسدس الليزري، فشعر وكأن كرة من اللهب تخترق عظامه، وتأوَّه في ألم، وهو يتخلى عن مسدسه، الذي سقط عند قدميه..

وهنا رفع الشياطين الثلاثة كرات مشابهة نحوه، ونحو

(سلوى) ، التى شهقت فى رُعب وفزع ، وقد أدركت هى و (نور) أنها النهاية ..

نهاية اثنين من المخابرات العلمية المصرية فى (منطقة الضباع) ..

وعلى أرض عالم الرُّعب .

* * *



٩ — منذ مائة عام ..

فجأة انطلق من بين الأطلال شعاع أزرق داكن ، اخترق رأس أحد الشياطين الثلاثة ، وعبر من بين عينيه الدمويتين ، وقد اكتسب لونًا أرجوانيًا برّاقًا ..

وهوى الشيطان ، وهو يُطلق خوارًا وفحيحًا ، واندفع من موضع إصابته سائل أخضر لزج ، وهو يلفظ أنفاسه ، واستدار الشيطانان الآخران ، لمواجهة ذلك الهجوم المباغت .

وكانت فرصة نادرة ..

أدرك (نور) على الفور أن ذلك الشخص ، أو الشيء ، الذى أطلق تلك الأشعة الزرقاء ، يعمل إلى جانبه على الأقل ، ضد هؤلاء الشياطين ..

وبسرعة مدهشة انحنى (نور) ، والتقط مسدسه الليزرى ، للحظة التى انطلق فيها الشعاع الأزرق مرّة ثانية ، من بين الأطلال ، واخترق رأس الشيطان الثالث

وساد الهدوء فجأة ..

هدوء عجيب ، وصمت رهيب ..

بدا ذلك العالم الأحمر المخيف وكأنما هو صورة ثابتة بلا حياة، يسودها صمت مطبق. انتبه إليه (نور) و (سلوى) لأول مرة..

كانت هناك ستة جثث، لستة شياطين، وأطلال قديمة مهدّمة، ومرآة عجيبة، هي الشيء السليم الوحيد في هذا العالم المخيف. ولم يكن هناك أية أصوات، حتى صوت هبّات النسيم..

ومضت فترة من ذلك الصمت المخيف، قبل أن تغمغم (سلوى) في صوت خافت، وكأنها تخشى تشويه ذلك الصمت

— كيف نجونا يا (نور)؟

أرسل بصره إلى تلك الأطلال القريبة، التي انطلق منها الشعاع الأزرق، وهو يتمتم في حيرة:

— لقد عاوننا شخص ما.. أو شيء ما.

تمتمت في حيرة وتوتر:

— عاوننا؟! لست أصدق أن هناك ما يمكنه معاونتنا هنا... إن كل حجر صغير في هذا العالم يثير الرجفة في أوصالي، ويبعث الـ.....

بترت عبارتها فجأة، حينما شعرت بقبضة (نور) تضغط ذراعها في قوة، فهمست في ذعر:

— ماذا هناك؟

أشار بمسدسه إلى الأطلال القريبة، وهو يهمس في حذر

— هناك شيء ما يتحرك.

التصقت به، وهي تسأله في خوف:

— عدوّ أم صديق؟!

هزّ رأسه، وهو يومئ إلى جثث الشياطين، مجيبًا

— إنه عدوّ لتلك المخلوقات على الأقل

تمتمت في أمل:

— إذن فهو صديق لنا... أنت تعرف القاعدة التي تقول «أعداء أعدائي هم أصدقائي».

مطّ شفتيه، وهو يغمغم في صرامة:

— ليس بالضرورة.

ثم ربّت على كتفها، وهو يهمس في حزم

— ابقي هنا.

وقبل أن تعترض، أو تستنكر، كان قد تركها، وتسلّل في خفة الفهد إلى تلك الأطلال القريبة، ولقد خفق قلبها في



أشار بمسدسه إلى الأطلال القريبة ، وهو يهمس في حذر
— هناك شيء ما يتحرك

قلق ، حينما رآه يقفز فوق الجدران المهدمة ، ويتحرك في خفة بين الشقوق ، التي تندلع منها ألسنة اللهب ، حتى بلغ تلك الأطلال القريبة ، فقفز فوقها ، وصوّب مسدسه إلى شيء ما داخلها ..

ومن موضعها ، لمحت تلك الدهشة الشديدة ، التي ارتسمت على وجهه .

ولم يكن بصرها يخدعها ..

لقد شعر (نور) حقًا بدهشة عارمة ، حينما رأى ذلك المخلوق ، الذي أطلق تلك الأشعة الزرقاء على الشياطين

لقد كان مخلوقًا يشبه البشر تمامًا ، في كل تفاصيل جسمه وملامحه ، فيما عدا لونه ، الذي يميل إلى الخضرة ، وشعر رأسه ولحيته ، اللذين يتألقان بلون برتقالي لامع ، وعينيه اللتين تحملان لونًا أزرق داكنًا ، لا مثيل له على سطح الأرض

ولقد كان ذلك المخلوق يمسك قضيبًا ذهبي اللون ، أدرك (نور) ، من ذلك التجويف المستدير في نهايته ، أنه الشيء الذي يطلق تلك الأشعة الزرقاء القاتلة

لم يكن مظهر ذلك المخلوق ، أو لونه ، هما مثار دهشة (نور) ، وإنما ابتسامته الودود ، وتلك الكلمة التي ألقاها بالعربية ، في لكنة عجيبة حينما رأى (نور) ، وغمغم

— مرحبًا .

لم يعكر (نور) لحظتها فى قواعد اللياقة ، التى تقتضى منه رد هذه التحية أولًا ، وإنما ظلّ يحدّق فى وجه ذلك المخلوق لحظات ، قبل أن يغمغم فى خشونة ، أملاها توتره

— مَنْ أنت ؟

حافظ المخلوق على ابتسامته الودود ، وهو يجيب فى هدوء

— اطمئن أنا صديق صديق لكم منذ أكثر من مائة عام .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يسأله فى دهشة :

— ماذا تعنى بأنك صديق لنا منذ مائة عام ؟

وضع المخلوق ذلك القضيب الذهبىّ فى جيب سترته اللامعة ، وكأنما يأتى ما يؤكد صداقته ، وهو يجيب

— إنها قصة طويلة يا فتى الأرض .

أجابه (نور) فى صرامة :

— يروق لى أن أسمعها .

هزّ المخلوق رأسه فى تفهُّم ، ثم رفع عينيه الزرقاوين الداكنين إلى (نور) ، وهو يقول فى لهجة ، شعر (نور) أنها تحمل حزنًا ثقيلًا :

— إننى المسئول عن كل هذا المسئول عن قدومكما إلى هنا .

توتّرت كل عضلة من عضلات (نور) ، وهو يقول فى حدّة :

— ماذا تعنى ؟! أخبرنى بالقصة كلها

أطرق المخلوق بوجهه أرضًا ، وهو يقول فى مرارة :

— سأخبرك . سأخبرك بكل شىء يا ولدى

* * *

تطلّعت (سلوى) فى حيرة إلى ذلك المخلوق ، الذى انتقل مع (نور) إلى حيث تنتصب المرآة العجيبة ، وجلس إلى جوارها هادئًا ، حزينًا ، ومن العجيب أن مظهره لم يخفها ، وإنما جعلها تشعر نحوه بالعطف والشفقة ، على الرغم من كل ما يملأ أعماقها من توتر ، وهى تستمع إليه يروى :

— اسمى (ريمارون) ، أحد علماء هذا الكوكب البائس ، وعمرى يزيد على المائتى عام ، بزمن أرضكم ، فمتوسّط الأعمار فى كوكبنا (شارا) هذا ، يفوقكم بعض الشىء ، ولكن هذا يعنى أننى ، بمقياسكم ومقياسنا ، عجوز ، فى نهاية العمر .

وصمت (ريمارون) لحظة، وكأنما يجتر كل ذكرياته القديمة، ثم استطرد:

— منذ ما يزيد قليلا على مائة عام، لم يكن كوكبنا كما ترونه الآن، بل كانت دولتنا، وهي من أعظم الدول والحضارات، التي ظهرت على الكوكب، مزدهرة متحضرة، متألقة بعلومها وفنونها وآدابها، وما ترونه حولكم هو أطلال تلك الحضارة.

سألته (سلوى) في دهشة:

— وماذا أصابكم؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة، وهو يقول:

— رويدك يا سيدتي، ستجدين إجابة لكل أسئلتك... إذا ما استمعت إلى قصتي كلها.

وتنهد، قبل أن يستطرد في مرارة:

— ومنذ ما يزيد على مائة عام، كنت واحدا من العلماء المعدودين في دولتي، وصاحب أحدث النظريات في علم الاتصال الفضائي. وذات ليلة، وبعد أبحاث استغرقت ما يقرب من ثلاثين عاما بمقاييس أرضكم... اخترعت هذا الشيء.

وأشار إلى المرآة، فهتفت (سلوى) في دهشة:

— أي اختراع هذا؟

أجابها وهو يستطرد في هدوء:

— لقد توصلت إلى اختراع مذهل، يلغي المسافة بين المجرات والكواكب، ويجعل الكون وحدة واحدة، دون الحاجة إلى اختراق أجواز الفضاء، والسفر عبر ملايين السنوات الضوئية... هذه المرآة، التي تبدو عادية في مظهرها، هي جهاز انتقال آني رائع، يمكن عبره أن ينتقل المرء إلى كواكب تبعد عنا ملايين... بل مليارات السنوات الضوئية، في غمضة عين... إنه قفزة عبر الزمن والفضاء... قفزة رائعة، كان يمكنها أن تربط الكون كله بخيط واحد.

سألته (نور) في اهتمام:

— وماذا حدث؟

تنهد (ريمارون)، وهو يقول في أسف:

— لقد أخفيت سر كشفي عن الجميع، لعشر سنوات كاملة، عكفت خلالها على البحث عن كواكب مأهولة، وحضارات جديدة، يمكننا أن ندمج معها، ونتبادل مع سكانها العلوم والمعلومات، حتى عثرت على كوكب الأرض، فأعددت أجهزتي، وانتقلت إليه في مهمة سرية.

وداعبت شفتيه ابتسامة حالمة ، وكأنما يسترجع ذكرى محببة ، وهو يستطرد :

ـ وكانت الفجوة بين كوكبينا تبدأ هنا ، فى معمل ، وتنتهى فى نقطة مقابلة فى كوكبكم ، وصحبها التوافق فى حجرة صديقى (عبد الجوّاد) باشا .

غمغمت (سلوى) فى دهشة :

ـ صديقك ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وتابع فى حزن

ـ لقد فوجئ بى داخل حجرة مكتبه ، وأصابه الفزع فى البداية ، وهو يتصوّرنى جنيًّا ، أو شبحًا ، ولكننى كنت قد درست لغتكم العربية بعض الشىء ، من خلال مراقبتى لكوكبكم ، قبل أن أنتقل إليه . وكان (عبد الجوّاد) باشا مثقفًا ، واعيًا ، فشرحت له الأمر ، واستطاع أن يدركه ، ويتفهّمه ، على الرغم من فارق التقدم الحضارى الشديد بين كوكبينا ، فى ذلك الحين ، ولقد عاوننى على صنع جهاز شبيه ، هو تلك المرآة التى رأيتماها فى مكتبه ، والتى عبرتما من خلالها إلى هنا .. ولقد قضينا شهرًا كاملًا معًا ، كنت خلاله أنتقل من حجرة معمل إلى حجرته فى كوكبكم ، أو يصحبنى هو إلى معمل هنا .

قاطعه (نور) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ ألهذا كان يصرّ على البقاء وحده فى حجرة المكتب ، وأغلق نافذة الحجرة بمكتبه ؟

أومأ (زيمازون) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. كان يحافظ على سرّيّة لقاءاتنا ، كما طلبت منه ، ولقد كان يستعد ، ليكون أوّل سفير لكوكبكم فى كوكبى . ولكن ..

بتر عبارته عند تلك النقطة ، وارتسم حزن شديد فى ملامحه ، قبل أن يستطرد فى مرارة :

ـ فى غمرة صداقتنا ، ونشوتى بنجاح نظريتى وكشفى ، نسيت أمر الدورة الفلكية تمامًا . فاتصالى بكوكبكم لا يمكن أن يتمّ لأكثر من شهر واحد ، كل خمسين عامًا ، حينما يصبح كوكبانا على خطّ واحد ، عبر الكون اللامتناهى ، دون أن يعترض الطريق بينهما أى كوكب آخر .. إنه أمر معقّد . ألهته نظرياتنا ، ونسيته أنا تمامًا ، حتى جاء يوم انتقل فيه (عبد الجوّاد) إلى هنا ، وقضى معى أمسيته ، وحينما أراد العودة ، فوجئنا بأن الاتصال بين كوكبينا قد انقطع تمامًا ، وتذكّرت أنا فى هلع ، أنه لن يعود قبل خمسين عامًا أخرى

وصدر من بين شفتيه صوت أقرب إلى النواح ، وهو يردف في حزن :

— وهكذا كافأت الرجل الذي عاونني من كوكبكم ، بأن جعلته أسيرًا ، منفيًا في كوكبي ، خمسين عامًا كاملة

غمغمت (سلوى) في جزع :

— يا إلهي !! إذن فهذا هو سرّ اختفاء (عبد الجوّاد) باشا .

هز (زمارون) رأسه إيجابًا في أسف ، وهو يتابع في حزن :

— لم يقتصر الأمر على ذلك ، فلقد تابعت أنا أبحاثي ، حتى توصّلت إلى كوكب آخر ، يحمل على سطحه حضارة أخرى حضارة وحشية ، هي حضارة أولئك (البيتاروس) .

وأشار إلى جثث الشياطين الستة ، فهتف (نور) في ارتياع :

— إذن فأنت جلبتهم إلى هنا ؟!

سالت من عيني (زمارون) دموع وردية عجيبة ، وهو يقول :

— نعم .. أنا السبب .. لقد أفزعني مظهرهم في البداية ،

ولكني أقنعت نفسي بأنهم مخلوقات الله (عز وجل) ، فأقمت الاتصال معهم ، ولقد خدعوني ، وجعلوني أصنع لهم مرآة شبيهة على كوكبهم ، ثم تدفّقوا إلى هنا بالملايين ، يحملون أسلحة الفتك والدّمار ..

وتدفّقت المرارة من بين شفتيه ، وهو يردف

— وفي أقل من عام واحد أبادوا حضارتنا ، واحتلّوا كوكبنا ، وأشاعوا فيه الخراب والدّمار ، اللذين تريهما في كل مكان حولكما .. ولكن الاتصال بين كوكبنا وكوكبهم انقطع بعد هذا العام ، فاستقرّوا في كوكبنا ، وسيطروا عليه ، وحكموه ، في انتظار عودة الاتصال بعد مائتي عام أخرى .

هتف به (نور) في حنق :

— ولماذا لم تدمّر تلك المرآة اللعينة ؟

أجابه (زمارون) في ألم :

— تدميرها يحتاج إلى طاقة هائلة ، لم نعد نملكها ، بعد أن حطّم (البيتاروس) كل حضارتنا .

أشار (نور) إلى المرآة ، وهو يهتف :

— وهل يدركون قدرتها ؟

أومأ (زمارون) برأسه إيجابًا ، وهو يقول

— نعم .. ولكنهم لا يعلمون بعد كيفية صنعها

وزفر في مرارة ، قبل أن يستطرد :

— إنهم يعرفون كيفية تشغيلها ، وخاصة بعد أن قرأ (أحمد) بن (عبد الجواد) مذكرات والده ، وعرف منها كيف ينتقل إلى هنا ، ففعل ، وهو يتصوّر أنه سيعثر على والده ، ولكنه لم يكد يعبر الفجوة ، حينما عاد الاتصال بعد خمسين عامًا ، حتى وقع بين أيدي (البيتاروس) ، الذين قتلوه ، ومثّلوا به ، واستولوا على المذكّرات ، وعكفوا على دراستها ، لمعرفة وسيلة الانتقال إلى كوكبكم

اتسعت عينا (سلوى) في رُعب ، وهي تهتف

— إلى كوكبنا ؟!

أجابها (زيمارون) في صوت خافت مرتجف

— نعم .. لقد قرروا أن يغزوا كوكبكم ، وأن يبدأ ذلك الغزو مساء الغد .. إنها بداية النهاية لحضارة كوكب الأرض ..

* * *

١٠ — الغــزو ..

لم يصدّق (نور) و (سلوى) ما تسمعه آذانهما ، واتسعت عيونهما في رُعب ، وهما يحدّقان في وجه (زيمارون) ، ثم اندفع نحوه (نور) ، وجذبه من سترته اللامعة في عنف ، وهو يصرخ في وجهه :

— هل تعني أنهم قد توصّلوا بالفعل إلى وسيلة عبور الفجوة ؟

أجابه (زيمارون) في استسلام :

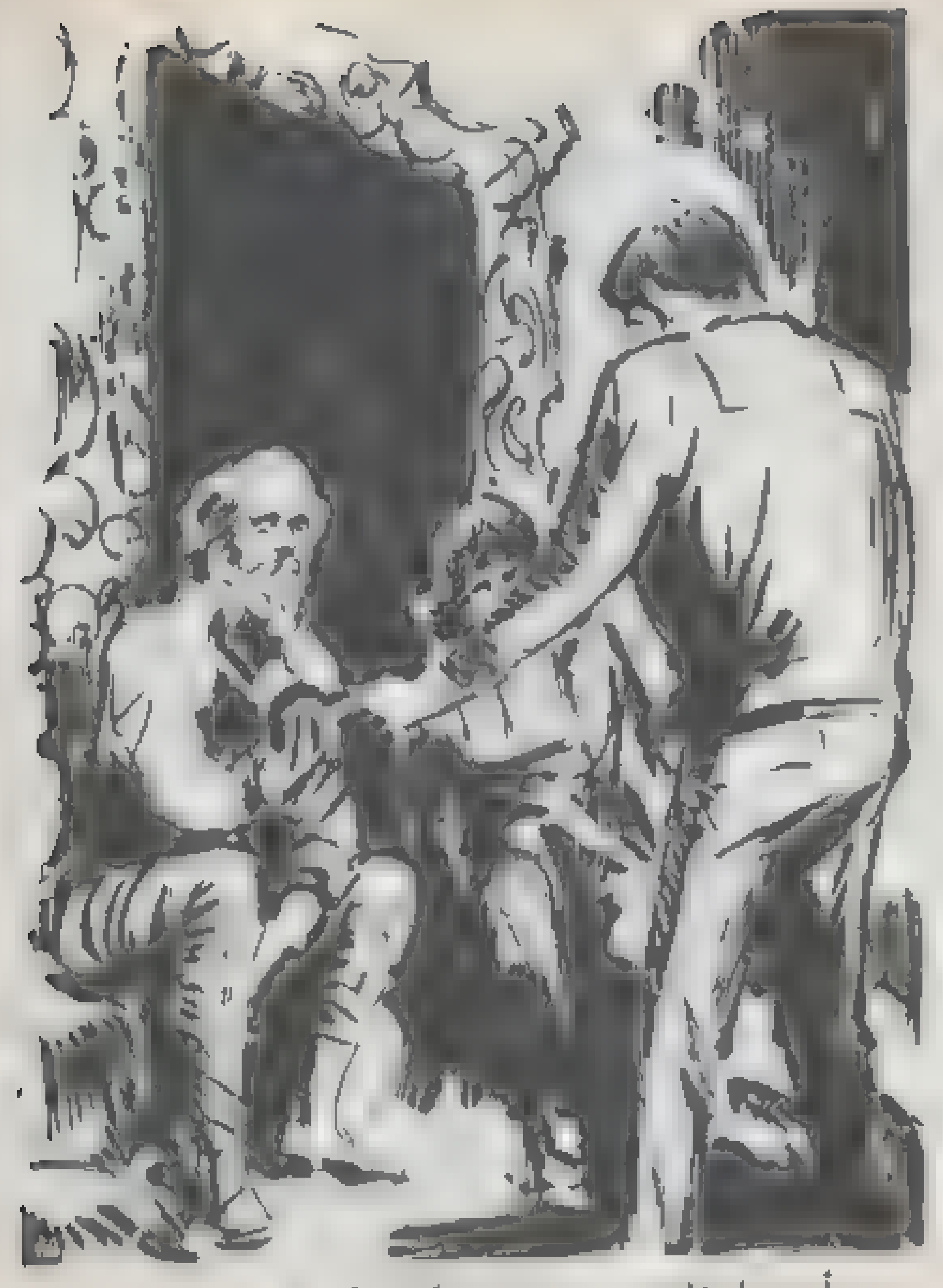
— بالطبع .. لقد رأيتهم يختطفون رجلًا من أرضكم ، صباح أمس ، وآخر صباح اليوم ، وثالثًا منذ ساعات ، بل إن أحدهم قد عبر إلى كوكبكم ، وحطّم جهازًا كان يمكنه كشف أمر الفجوة .

تركه (نور) ، وهو يتراجع في ذعر ، قائلًا :

— يا إلهي !!.. هذا يفسّر كل شيء .

ثم التفت إلى (سلوى) ، مستطردًا في انفعال

— لقد انتهت فترة الخمسين عامًا الثابتة ، وعاد الاتصال بين الكوكبين ، وكان السمير هو الضحية الأولى


أخرج (زيمازون) من جيبه جهازًا صغيرًا ، في حجم كرة (تنس الطاولة) ، وناوله إلى (نور)

لـ (البيتاروس) ، في هذه الحقبة ، وبعده وقع (جاكوب) .. هل تذكرين كيف التفت خلفه في ذعر ، قبل أن تمتد تلك اليد عبر المرآة ، وتقبض على عنقه ، وتجذبه إلى هنا ؟ لقد رأى وجه أحد (البيتاروس) ، عبر الفجوة ، فظنّ أنها صورة تعكسها المرآة ، لشيء ما خلفه ، فلمّا التفت لم يجد شيئًا ، لأن تلك الصورة كانت حقيقة أمامه .. ولقد رأى (دافيد) (البيتاروس) ، وهم يختطفون (إيرك) ، ورأى أحدهم يعبر المرآة ، ويحطّم جهاز الالتقاط الحراري ، فأصيب بالجنون من هول ما رأى ..

وعاد يلتفت إلى (زيمازون) ، وهو يهتف في عصبية :

ـ لابدّ من وسيلة لمنع ذلك .. لابدّ

أخرج (زيمازون) من جيبه جهازًا صغيرًا ، في حجم كرة (تنس الطاولة) ، وناوله إلى (نور) ، وهو يقول :

ـ الوسيلة الوحيدة هي أن يعبر أحد الفجوة إلى كوكبكم ، وهو يحمل هذا الجهاز .

سأله (نور) في انفعال :

ـ وماذا سيحدث حينذاك ؟

لوّح (زيمازون) بكفه ، وهو يقول :

— ستبلغ ترددات الجهاز أقصاها ، عند عبور الفجوة ، وتتعارض مع ترددات المرآة ، فتحطمها من جانب واحد ، أعني جانبكم ، وتغلق الفجوة بين الكوكبين هذه الدورة تماماً

هتف (نور) في توتر :

— ألا توجد وسيلة لتحطيم المرآة من الجانبين ؟

أطرق (زيمارون) برأسه ، وهو يغمغم في مرارة :

— إنك بذلك تقضي على آخر أمل لنا في الحرية ، وتحكم على (البيتاروس) بالبقاء في كوكبنا إلى الأبد

ران الصمت لحظة ، و (نور) ينقل بصره بين (زيمارون) ، ثم عاد يسأله في جدية :

— وكيف يمكن العبور إلى كوكبنا ؟

صمت (زيمارون) لحظة أخرى ، ثم أجاب في توتر

— هذا يحتاج إلى طاقة هائلة ، لا يمكن توافرها إلا في قذائف (الميجاس) ، التي تطلقها مقاتلات (البيتاروس) ، فالعبور من كوكبكم إلى هنا أمر هيّن . فلقد أدركت الفارق الحضاري بين كوكبينا ، وأن صنع الجهاز في عالمكم ، فزودته بوسيلة بسيطة للانتقال إلى هنا ، تعتمد على مثل ذبذبات المرآة هناك ، أما من هنا فالأمر يختلف و ..

قاطعه (نور) في جدية :

— باختصار . كيف يمكننا العودة إلى عالمنا ؟

تردد (زيمارون) بعض الوقت ، ثم أطرق برأسه في أسف ، وهو يغمغم :

— لا توجد وسيلة الآن للأسف . لا توجد وسيلة على الإطلاق .

* * *

لم تكد تمضي ساعة واحدة ، على اختفاء (نور) و (سلوى) داخل المرآة ، حتى كانت حجرة المكتب في القصر القديم تمتلئ بعشرات العلماء ، التابعين لإدارة المخابرات العلمية ، وعلى رأسهم الدكتور (عبد الله) ، الذي بدا شديد التوتر ، وهو يشرف على وضع وإعداد عشرات الأجهزة الحديثة ، في مواجهة المرآة ، قبل أن يلتفت إلى (رمزي) و (محمود) ، قائلاً :

— هل أنتما واثقان من أنهما قد اختفيا داخل هذه المرآة ؟

أجابه (محمود) في عصبية :

— للمرة الألف ، نعم يا دكتور (عبد الله) . لقد رأيناهما بأعيننا يختفيان داخلها .

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه ، وهو يغمغم في حيرة

ـ يا للعجب !!

سأله (رمزى) في لهفة :

ـ هل توصّل علماؤنا إلى شيء ما يا سيّدى ؟

حرّك الرجل رأسه نفيًا ، وأجاب في قلق

ـ ليس بعد .. إنها وسيلة اتصال بين عالمين ولاشكّ ، ولكن لا شيء ينبئ عن وسيلة استعادة من يعبر خلالها ، أو حتى مصيره بعد عبورها .

سأله (رمزى) مرة أخرى ، في قلق وتوتّر

ـ أهناك احتمال أن نجدهما على قيد الحياة ؟

هزّ كتفيه ، وهو يغمغم :

ـ لا أحد يمكنه الجزم بذلك ، فهذا يعتمد على ماذا يوجد خلف المرآة .. أعنى داخلها .

ثم أشار إلى عشرات العلماء ، الذين بدءوا في تشغيل أجهزتهم ، وهو يستطرد :

ـ كل ما علينا هو أن نحاول .

أشاح (محمود) بوجهه في توتّر شديد ، في حين أومأ (رمزى) برأسه ، وهو يتمتم :

ـ نعم .. كل ما علينا هو أن نحاول .

* * *

حدّق (نور) في وجه (زيجازون) في ارتياع ، قبل أن يهتف في حنق :

ـ ماذا تعني بأنه لا توجد وسيلة للعودة ؟ هناك وسيلة بالتأكيد ، ما دام (الياروس) قد نجحوا في الوصول إلى عالمنا ، واختطاف ثلاثة رجال من هناك ، وتحطيم جهازنا

أجابه (زيجازون) في ألم :

ـ هم وحدهم يملكون هذه الوسيلة ، فلقد صنعوا جهازًا خاصًا ، يولّد طاقة (سحاس) ، ولكنه ليس هنا الآن ، وهم لا يحضرونه إلّا تحت حراسة مشدّدة

سألته (سلوى) ، وقد بدأ بها اليأس منهم

ـ ألا توجد وسيلة للحصول عليه ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ مستحيل .. هذا يحتاج إلى مقاتلة ألف محارب من محاربى (الياروس) ، وصحيح أنهم ضعفاء ، إلا أن قوة أي واحد منهم تعادل قوة عشرة رجال من عالمي وعالمكم

ثم أشار حوله ، مستطردًا :

— هل ترون كيف تركوا المعمل أنقاضًا ، على الرغم من وجود المرآة به ؟ إنهم لم يهتمُّوا حتى بترميمه ، وإنما اكتفوا بترك ستة رجال لحراسته و ..

استوقفه (نور) بغتة ، قائلًا في حِدَّة :

— لحظة يا (زيمارون) هناك نقطة لم أفهمها بعد ماذا كنت تفعل هنا ؟

ابتسم (زيمارون) ابتسامة مريرة ، وهو يقول

— كنت أنتظر يا فتى .

سأله في انفعال :

— ماذا تنتظر ؟

تنهَّد (زيمازون) ، قبل أن يجيب :

— إن هؤلاء (البيناروس) الملاعين يطاردوننى ، ويحاولون اقتناصى ، منذ ما يقرب من خمسين عامًا ، فلقد عجزوا عن صنع جهاز شبيه بجهازى ، يسمح لهم باحتلال نصف الكون تقريبًا وهم يعلمون أننى وحدى أعلم سرَّ صنع هذا الجهاز ، ويحاولون إجبارى على صنعه ، لذا فأنا أهرب منهم ، وأختبئ منذ ذلك الحين .

قال (نور) في عصبية :

— هذا لا يجيب عن سؤالى .

أجابه (زيمازون) في خفوت :

— إن شعبنا لم يستسلم تمامًا بعد يا فتى الأرض هناك عشرات مثل يقاومون ، ويناضلون ، لاستعادة حرِّيتنا ، وأنا زعيم منظَّمة كبيرة ، تسعى للقضاء على (البيناروس) ، وتحرير كوكبنا ، ونحن نعلم أنهم سيهاجمون عالمك مساء الغد ، ولقد كنت أنتظر قدوم فريقهم ، وهو يحمل جهاز الطاقة (المحايد) ، لأرسل إشارة خاصَّة إلى رجالى ، فيهاجمون فرق (البيناروس) ، ويعملون على تحطيم الجهاز

برقت في نفس (نور) بارقة أمل ، وهو يسأله في لهفة

— ألا يمكن تعديل الخطة ، بحيث نسمح في الاستيلاء على الجهاز ؟

هزَّ (زيمارون) رأسه نفيًا في أسف ، وهو يقول

— مستحيل يا فتى ، فـ (البيناروس) شديدو الحذر ، ولقد زوَّدوا جهازهم بمفجِّر خاص ، يجعله ينفجر فور لمس أىِّ كائن غيرهم له .

سالت دموع (سلوى) ، وهى تقول :

— إذن فلا فائدة سنبقى هنا إلى الأبد

وفجأة شقَّ السكون المطبق أزيز يتعالى تدريجيًا . ورفع (ريمارون) رأسه إلى السماء ، وهتف في ارتياع

— يا إلهي !! مقاتلات (البارون) سيمطرونا بقذائف (الميحابس) إنها النهاية . إنها النهاية

* * *



١١ — معركة المـوت ..

رفع (نور) و (سلوى) عيونهما إلى السماء ، في ذعر ودهشة ، فوقع بصرهما على عشرات الأجسام السوداء المستديرة ، التي تندفع نحو الأطلال ، التي يقفان وسطها ، في سرعة كبيرة ، فصرخت (سلوى) في رُعْب ، ولثت به (نور) ، وهي تهتف :

— إنها النهاية !! إنها النهاية يا (نور) !!

أراد (نور) أن ينطق بكلمة واحدة ، أو حتى حرف واحد ، ليهدئ من روْع زوجته ، إلا أنه عجز عن ذلك ، فلقد كان يشعر في قرارة نفسه ، أنها لم تنطق سوى صدق ، فهاهما ذان وحيدان ، في عالم يجهلانه ، وبلا أية أسلحة ، اللهم إلا مسدسًا ليزريًا واحدًا ، يواجهان هجومًا شرسًا ، من مقاتلات عنيفة ، يملكها شعب وحشي همجي ، بنى حضارته على الدماء المسفوكة ، والأرواح المسلوبة ..

شعب يعدّ عدته لغزو الأرض ..

بل لغزو الكون ..

وقبل أن يتحرَّك (نور) أو (سلوى) حركة واحدة ،

انتزع (زمارون) من جيبه مستطيلًا صغيرًا، وهو يهتف في توتر:

— لقد كشفوا خطتنا.. لقد كشفوها ولا شك.. هناك خائن بين صفوفنا.. لابد أن تبدأ المعركة الآن.. لابد.

ثم ألقى المستطيل عاليًا، ورآه (نور) و (سلوى) يرتفع في السماء، كأنما يحمل طاقة خفية، ثم ينفجر ببريق أصفر زاهٍ ..

وقبل أن يتلاشى ذلك البريق، برز من وسط الأطلال مئات من الرجال، الذين يشبهون في مظهرهم وأزيائهم (زمارون)، وكل منهم يحمل قضيبًا ذهبيًا، وتقاطعت عشرات الخيوط من الأشعة الزرقاء القاتلة في السماء، وأصاب بعضها مقاتلات (الميتاروس)، فانفجرت، وهاوت مشتعلة ..

أما المقاتلات الأخرى، فقد أطلقت قذائف (الميجابن) على رجال المقاومة ..

وتلك القذائف عبارة عن فقاعات هلامية أرجوانية كبيرة، لا تكاد تغادر المقاتلات، حتى تتخذ مسارًا متعرجًا، وتطارد رجال المقاومة، الذين يحاولون الفرار منها في يأس،

ويكمن سحق بهم، ولا تكاد تمسهم حتى تحيل الواحد منهم إلى كومة من الرماد، وهو يطلق صرخة هائلة، تشف عن آلام مبرحة

كان من الواضح أن تلك القذائف تحمل طاقة رهيبة بالفعل ..

طاقة مجهولة، بالنسبة لأبناء الأرض، تفتك بكل شيء، وتنثر الخراب والدمار في كل مكان، وتبيد كل من تمسه

وكان من الواضح أن شعب (زمارون) لن ينتصر أبدًا في تلك المعركة ..

وفي ارتياع، راح (نور) يتخيل ما يمكن أن يحدث، إذا ما نجح (الميتاروس) في الانتقال إلى الأرض، وهم يحملون تلك الطاقة الرهيبة ..

راح يتخيل الخراب والدمار، اللذين سيحيقان بكوكبه الأم

رآه في خياله يتحول إلى أطلال خربة، وأرض مشققة، تندلع منها ألسنة النيران.

رأى الحضارات تنهار، والوحشية تسود ..

وفي حزم وعزم، التقط (نور) القضيب الذهبي، الذي

كان يمسك به (زيمارون) ، واندفع يشارك سكّان الكوكب فى نضالهم ، وصاح به (زيمارون) فى حزم :

— كلا .. لن يمكنك ذلك .. لم يمكنك ذلك ..

وفجأة اندفعت إحدى قذائف (الميحابس) من خلف (زيمارون) ، وأحاطت به ، فأطلق المسكين صرخة هائلة ، وتألّق المكان كله بلون أرجوانى ، قبل أن تحوّل (زيمارون) إلى كومة من الرّماد ..

وتراجعت (سلوى) فى رعب ، وهى تهتف

— لقد ضاع الأمل الوحيد .. ضاع الأمل الوحيد يا (نور) .. سنبقى هنا إلى الأبد .

ولكن (نور) لم يسمعها .. فقد كانت حواسه كلها متركّزة فى واحدة من قذائف (الميحابس) ، تندفع نحوه فى إصرار ..

* * *

« لا فائدة » .

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه فى أسف ، وهو ينطق بهذه العبارة ، فصاح به (محمود) فى عصبية

— ماذا تعنى ؟ .. لابدّ من مواصلة المحاولة

أشار الدكتور (عبد الله) إلى فريق العلماء ، الذى ارتسم اليأس على وجه كل رجل فيهم ، وهو يقول

— لقد بذلنا كل المحاولات الممكنة يا ولدى ، ولقد رأيت ذلك بنفسك ، و......

قاطعه (محمود) فى صلابة :

— إلّا محاولة واحدة .

سأله فى دهشة :

— أيّة محاولة ؟

أشار إلى المرآة فى غضب ، وهو يهتف

— أن نلحق بهما هناك .

أجابه (رمزى) فى حزم :

— نعم .. لابدّ من بذل هذه المحاولة .

هتف الدكتور (عبد الله) ، وهو يرمقهما بنظرة جزع

— أى جنون هذا ؟! .. إننا لا نعلم ماذا يوجد هناك ، وما مصير من يذهب إليه .

أجابه (رمزى) فى صرامة :

— إن (نور) لم يتردّد لحظة واحدة فى الذهاب إلى ذلك المجهول ، من أجل (سلوى) ، ولقد بقينا هنا ، ونحن نظن أن

بقاءنا سيكون أكثر فائدة لهما . أما بعد فشل كل محاولاتكم ، فلن نتردد فى اللحاق بهما هناك .

قال الدكتور (عبد الله) فى توتر بالغ :

— ولكن قد يكون (نور) و (سلوى) قد لقيا مصرعهما . وقد تكون نهايتكما مماثلة ، لو لحقتما بهما هناك

أجاب (محمود) فى حزم :

— ليس لدينا خيار يا سيدى .

ثم أردف فى لهجة من لا يسمح بمناقشة قراره

— كل ما نحتاج إليه هو أسلحة .

وأكمل (رمزى) ، وهو يشير إلى المرآة :

— لمواجهة ذلك المجهول ..

* * *

رأت (سلوى) — فى غمرة ارتياعها — قذيفة (الميجاس) ، وهى تندفع نحو (نور) ، واسترجع ذهنها مشهد رجال (زمارون) وهم يحاولون الفرار منها فى يأس ، ومشهد كومة الرماد ، التى تخلفت عن ذلك المسكين ، حينما أصابته القذيفة ، فصرخت فى ذعر هائل

— احترس يا (نور) .

ولكن (نور) كان يعلم — بعد ما رآه — عدم جدوى الفرار من قذائف (الميجاس) ، التى تطارد ضحاياها فى شراسة ووحشية وإصرار ، كما لو كانت وحشًا مفترسًا ، أضناه جوع طويل ..

ولكن عقل (نور) رأى بارقة أمل ، وسط هذا الموقف البالغ الخطورة ، فتحسس ذلك الجهاز الشبيه بكرة (تنس الطاولة) ، الذى أعطاه له (زمارون) ، والذى يستقر فى جيب سترته ، وقفز من فوق الحائط المهدم ، وصاح وهو يمسك يد (سلوى) ، ويجذبها إليه :

— هيا بنا ..

انحرفت قذيفة (الميجاس) ، وهى تطاردهما فى عناد ، وراحت المسافة التى تفصلها عنهما تقصر فى سرعة مخيفة ، وهما يعدوان نحو المرآة ، وسلوى تصرخ :

— لا فائدة .. لا فائدة يا (نور) .

صاح بها فى حزم وصرامة :

— واصلى العدْو .

واقتربا من المرآة ، واقتربت منهما قذيفة (الميجاس) فى سرعة مذهلة ، وصرخ (نور) :

— اقفزى نحو المرآة يا (سلوى) .

صرخت فى يأس :

— لقد حاولنا ذلك من قبل ، وباءت محاولاتنا بالفشل

دفعها وهو يصرخ :

— هيا .. الآن .

وقفز كلاهما نحو المرآة ، فى نفس اللحظة التى ارتطمت بها قذيفة (الميحاس) القاتلة ، وتألق المكان كله بذلك اللون الأرجوانى المخيف ، و .....

وساد الهدوء فى تلك البقعة بالذات ..

* * *



١٢ — الختام ..

تأكد (رمزى) و (محمود) من صلاحية بندقيتى الليزر ، اللتين حصلا عليهما من رجال الأمن ، ثم اتجها فى ثبات نحو المرآة ، فاستوقفهما الدكتور (عبد الله) ، وهو يسألهما فى حزن :

— ألستما واثقان من أنه قراركما الأخير ؟

أجابه (محمود) فى حزم :

— تمام الثقة .

وأجاب (رمزى) فى هدوء :

— لقد واجه الفريق كل المواقف والأخطار مجتمعًا يا سيّدى ، وسنحيا معًا ، أو نلقى حتفنا معًا

سالت دمعة من عينى الدكتور (عبد الله) ، وهو يربّت على كتفيهما ، قائلًا :

— كم أتمنى ألا تكون آخر مرّة أراكما فيها

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

— هذا الأمر لا يقلقنا كثيرًا يا سيّدى ، فإمّا أن نعود بـ (نور) و (سلوى) ، أو لا نعود على الإطلاق



رأى الجميع (نور) و (سلوى) يعبران من خلال المرآة ، كما لو كانا شبحين عادا فجأة من عالم الموتى ، ويقفزان إلى داخل الحجرة ..

وصافحاه فى حرارة ، وعادا يتجهان أمام أنظار الجمع ، من العلماء ورجال الأمن ، نحو المرآة ..

وفجأة تراجع الجميع ، وهم يشهقون فى ذهول ، فأمام عيونهم ، ولى مشهد خرافى ، يصعب منحه وصفًا كاملًا مناسبًا ، رأى الجميع (نور) و (سلوى) يعبران من خلال المرآة ، كما لو كانا شبحين عادا فجأة من عالم الموتى ، ويقفزان إلى داخل الحجرة ، ثم يعقبهما دوى هائل ، وبريق أرجوانى شديد ، تحطمت بعده المرآة تمامًا ، وتحولت — مع إطارها — إلى فتات ، تناثر فى أرجاء الحجرة ، وحول جسدى (نور) و سلوى) ..

ومضت لحظة من الذهول والصمت ، والجميع يحدقون فى وجهى (نور) و (سلوى) ، قبل أن يرفع الاثنان عيونهما إليهم ، ويتطلعان إليهم فى فرح ، ثم يدير (نور) عينيه إلى الحائط ، الذى كانت تحتله المرآة قبل تحطمها ، ويقفز من مكانه ، وهو يصرخ فى ظفر وسعادة :

— لقد نجحنا ..

تفجرت إثر صيحته هتافات السعادة والارتياح ، واندفع الحاضرون جميعًا نحو (نور) و (سلوى) ، وانهالت عليهما

عشرات الأسئلة وعبارات التهنئة والإعجاب ، واندفع (رمزى) و (محمود) يصافحانهما فى حرارة ، وهما يهتفان :

ـ يا إلهى !!.. لقد عدتما .. لقد كدنا نلحق بكما .. ولكنكما عدتما .

هتف (نور) ، وهو يضحك فى سعادة :

ـ لحسن الحظ يا صديقى .. لقد تذكَّرت فى اللحظة الأخيرة عبارة (زيمازون) ، حينما قال إن الطاقة اللازمة للعودة ، لا تتوافر إلا فى قذائف (الميجابن) ، فخدعت تلك القذائف اللعينة ، وخدعت (اليتاروس) ، وجعلت قذائفهم ترتطم بالمرآة فى نفس اللحظة ، التى ارتطمنا بها نحن ، فحصلنا على الطاقة اللازمة ، وعدنا إلى هنا و .....

بتر (نور) عبارته بغتة ، حينما تنبَّه إلى أنه يتحدَّث فى صوت مرتفع ، بعد أن توقَّف الجميع عن الحديث ، وهم يحدِّقون فى وجهه ، ويستمعون إليه فى ذهول ، ولم يكد يبتر عبارته ، حتى سمع (رمزى) يهتف فى حيرة :

ـ إننا لا نفهم شيئًا يا (نور) .. من هو (زيمازون) ؟.. ومن هم (اليتاروس) ؟.. وما قصة قذائف (الميجابن) هذه ؟.. إننا لم نسمع شيئًا عن هذا من قبل .

ابتسم (نور) ، وربَّت على كتفه ، وهو يقول :

ـ إنها قصة طويلة يا صديقى ، وسأقصُّها عليكم بالتفصيل .

ثم استطرد ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ أين (دافيد) ؟

أجابه (رمزى) مبتسمًا ، وإن لم تخف ابتسامته حيرته :

ـ هنا .. لقد استعاد عقله و .....

هتف (نور) مقاطعًا :

ـ أين هو ؟

سمع إلى جواره صوت (دافيد) يقول فى خفوت :

ـ هنا أيها الرائد .

التفت إليه (نور) ، وقال :

ـ هل رأيت ما حدث ؟

أومأ (دافيد) برأسه إيجابًا فى شحوب ، فسأله (نور) فى حزم :

ـ هل يفسِّر هذا اختفاء سفيركم ، ويؤكِّد عدم إدانتنا ؟

مرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن يغمغم (دافيد) :

ـ نعم .. على الرغم من غرابته ، فهو يفسِّر كل شىء .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ هذا هو المهم

أمسك الدكتور (عبد الله) بذراعه ، وهو يقول فى انفعال :

ـ أخبرنا ماذا يوجد خلف المرآة يا (نور) .. أهو عالم آخر ؟

أجابه (نور) :

ـ نعم يا دكتور (عبد الله) ، عالم يحمل إلينا خطرًا رهيبًا ، بعد نصف قرن من الآن .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة وذعر ، وهتف الدكتور (عبد الله) :

ـ بعد نصف قرن ؟!.. أى خطر هذا يا (نور) ؟

أجابه (نور) ، وهو يضم زوجته إلى صدره ، ويتنفس الصعداء :

ـ سأخبرك بكل شىء يا دكتور (عبد الله) .. سأخبركم بكل التفاصيل ، حتى يتكاتف الجميع لدرء هذا الخطر ، الذى يهدد حضارة أبنائنا وأحفادنا .

ثم ابتسم وهو يستطرد :

ـ المهم الآن أن نبتعد عن هذا المكان ، الذى يبعث فى جسدى قشعريرة مخيفة .

وأردف فى ارتياح :

ـ أن نبتعد بأقصى قدر ممكن عن تلك المنطقة .. عن (منطقة الضياع) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

منطقة الضياع

- كيف يمكن أن يختفى رجل داخل حجرة محاطة بكل وسائل الأمن ، دون أن يخلف أدنى أثر ؟
- ما سرّ تلك المرآة الأثرية ، فى ذلك القصر القديم ، الذى اختفى داخله رجال عبر التاريخ ؟
- ترى أينجح (نور) وفريقه فى مواجهة ذلك الغموض ، أم يذهبون ضحية لـ (منطقة الضّياع) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حلّ اللغز .

٥٧



الثمن

بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : معركة الكواكب